جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة بالمنوفية

نظريات نهاية الكون في الفلسفة المادية الإلحادية الحديثة وموقف الإسلام منها

" نظرية الموت الحراري أنموذجا "

إعداد الدكتورة

صفية محمد الهادي محمد سليم القرعيش
مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالزقازيق

بسم الله الرحمن الرحيم

نظريات نهاية الكون في الفلسفة المادية الإلحادية الحديثة وموقف الإسلام منها

" نظرية الموت الحراري أنموذجا "

صفية محمد الهادي محمد سليم القرعيش
قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، مصر.
الإيميل: drsafiaqarich@gmail.com

ملخص البحث:

فإن الفلسفة المادية الإلحادية الحديثة يعتقد أفرادها أن نهاية العالم لن تكون إلا بإرادة الطبيعة، والقوانين التي تتحكم في ذات الطبيعة، يستوي في ذلك ما كان مصدره تأثير الأفلاك والعناصر، أو ما كان مصدره الأسباب والمسببات من غير حاجة إلى خالق عظيم له القدرة والإرادة والعلم والحياة.

وأكثروا من ذكر ذلك في نظريات بعضها يتعلق بالفلك وهو ما يعرف بالنظريات الفلكية، ومنها موت الشمس، وموت الفلك، والإنكماش النجمي، واضطراب السلوك الكوني. ومنها ما يتعلق بالقوانين والمبادئ الفيزيائية، باعتبار أن نهاية الكون سيكون بيدها لا بيد الله، ويعرف بالنظريات والقوانين الفيزيائية، ومنها: نظريات التركيب الكيميائي، والطاقة والمادة المظلمتين، بجانب التحلل الذهني، وسيطرة التركيب الكيميائي، إلى غير ذلك مما عدوه عوامل إنهدام الكون. ولما كانت هذه النظريات قابلة للترجيح والرجحان فمن المؤكد أنها لا تمثل قوانين علمية، وإنما هي فرضيات قد يسلم بها العقل، وقد لا يسلم، وبخاصة أن النصوص الواردة عن الله تعالى بينت أن نهاية الكون كنشأته

تتم بقول الله تعالى: "**كن فيكون**" وما يخالف هذه القاعدة فإنما يكون ضرباً من الخلل الفكري، وعدواناً على الأمر الإلهي، ومن ثم اخترت موضوع هذا البحث **نظريات نهاية الكون في الفلسفة المادية الإلحادية الحديثة وموقف الإسلام منها "نظرية الموت الحراري أنموذجاً"** على سبيل العرض والمناقشة.

تتكون خطة البحث من:

- **مقدمة، الفصل الأول:** تحليل عنوان الدراسة، **الفصل الثاني:** أسباب الموت الحراري "عرض ومناقشة"، **الفصل الثالث:** مظاهر الموت الحراري "عرض ومناقشة"، **الخاتمة** وتتضمن أهم النتائج وأبرز التوصيات وأهم المقترحات، والمصادر والفهرس العام. **من أهم النتائج:** ١- وجود الرأي والمخالف له "تصادم الآراء". ٢- اختلاف الأسباب. ٣- الوقوف على الاحتماليات وليس يقينيات. ٤- الإختزال الفكري "اختلاف المفاهيم".

الكلمات المفتاحية: نظريات نهاية الكون، الفلسفة المادية الإلحادية الحديثة، موقف الإسلام منها، "نظرية الموت، الحراري أنموذجاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

Theories of the end of the universe in modern atheistic materialistic philosophy and Islam's position on it "Theory of heat death as a model"

Safia Muhammad Al-Hadi Muhammad Salim Al-kareish

Department of Faith and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Zagazig, Egypt.

Email: drsafiaqarich@gmail.com

Abstract:

The modern atheistic materialist philosophy believes that the end of the world will not be except by the will of nature, and the laws that control the very nature, the same in that what was the source of the influence of the spheres and the elements, or what was the source of the causes and causes without the need for a great creator who has power, will, knowledge and life. And more than mentioned this in theories, some of which are related to astronomy, which is known as astronomical theories, including the death of the sun, the death of the astronomy, stellar contraction, and the disturbance of cosmic behavior. Including what is related to physical laws and principles, given that the end of the universe will be in her hand and not in the hands of God, and is known by physical theories and laws, including: theories of chemical composition, dark energy and matter, along with mental decomposition, and the dominance of chemical composition, to other things that they consider factors of the collapse of the universe.

And since these theories are subject to weighting and preponderance, it is certain that they do not represent scientific laws, but rather they are hypotheses that the mind may accept or may not, especially since the texts mentioned about God Almighty showed that the end of the universe, like its inception, is

accomplished by God Almighty's saying "Be, and it will be" and what contradicts these The rule is a kind of intellectual defect, and an aggression against the divine command, and then I chose the topic of this research the theories of the end of the universe in modern atheistic material philosophy and Islam's position on it "the theory of heat death as a model" for presentation and discussion. The research plan consists of

• **Introduction:** The first chapter: analysis of the title of the study. **Chapter Two:** Causes of Thermal Death "Presentation and Discussion." **Chapter Three:** Manifestations of Thermal Death "Presentation and Discussion." The conclusion includes the most important results, the most prominent recommendations, the most important proposals, the sources and the general index.
Among the most important results:
1 – The existence of an opinion and the one who opposes it is a clash of opinions." 2 – Different reasons. 3 – Standing on probabilities, not certainties. 4 – Intellectual shorthand "different concepts."

Keywords: Theories of the end of the Universe, Modern Atheistic Materialistic Philosophy, and Islam's Position on it, "Theory of Heat Death as a Model.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله خلق الخلق وهو أعلم بهم، ظاهرهم وخفيهم، وسجل ذلك كله في كتاب عنده، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم السر وأخفى، وله وحده الأسماء الحسنى، بين جل شأنه أن خلق السماوات والأرضين أكبر من خلق جميع المكلفين، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، نبه إلى العلم وضرورة الأخذ بأسبابه، يستوي في ذلك أمر عالم الغيب وعالم الشهادة، من ناحية إن كلا منهما واقع في نطاق العلم الإلهي، من حيث الانكشاف، والإرادة من حيث التخصص، ثم القدرة من ناحية التنفيذ، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾(٣).

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير، وعلى آله نجوم الهدى، وأصحابه الذين كانوا أنجماً تنير ظلمات الليل البهيم، وارض اللهم عن التابعين من العلماء العاملين، ونجنا برحمتك من القوم الظالمين.

---

(١) سورة. النمل، الآية ٧٥.

(٢) سورة غافر، الآية ٥٧.

(٣) سورة الرعد، الآية ٨.

أما بعد،،

فإن كل مسلم عالم مستخلفٌ عن الله ورسوله في تقرير العقيدة الإيمانية، والدفاع عنها، ومواجهة أصحاب النوايا البعيدة عن الشرع التي يحاول أصحابها النيل من دين الله رب العالمين، وهم المشار إليهم بقوله تعالى:﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(١).

أَمَا وقد انتشر الإلحاد في الوقت الحاضر، وتشعبت مدارسه، وتعالت أصوات القائلين به، والمبلغين تعاليمه، وراحوا يخبطون في المسلمين بأقصى ما لديهم، من هنا وجب الدفاع عن دين الله، وهو واجب يقوم به كل مسلم قادر على رد هؤلاء وشبههم، يستوي في ذلك الصغير والكبير إذ لا فرق بينهما في التحمل والأداء، مادام واقعاً في نطاق المكلفين.

غير أنه في الآونة التي نعيشها برزت طائفة يتحدثون عن أمور الغيب زاعمين قدرتهم على تفهمها، بل وعرضها والنيل منها، واتخذوا من القضايا الفلكية، والفيزيائية المادة التي ينقلون منها وينسبون إليها، حتى يصرفوا الناس عن دين الله رب العالمين.

وتعتبر نظرية الموت الحراري الفيزيائية من أكثر النظريات الإلحادية شيوعاً وانتشاراً، وبناءً عليه اخترت أن يكون عنوان البحث "**نظريات نهاية الكون في الفلسفة المادية الإلحادية الحديثة**(٢) **وموقف الإسلام منها** "**الموت الحراري أنموذجاً**"، وسوف أُلمح إلى مجموعة الخطوات التي سرت عليها من بداية البحث إلى منتهاه، وذلك طبقاً لما يلي:

---

(١) سورة الصف، الآية ٨.

(٢) هناك فلسفة مادية حديثة يسعى القائمون عليها لإثبات وجود الله تعالى وكمال صفاته، مستخدمين التجربة المعملية، والفلك والفيزياء أدوات لإثبات ذلك الوجود الإلهي، وبالتالي فهم من المؤمنين لا من الملحدين.

أولا: أسباب[1] اختيار الموضوع

١- إن أصحاب الفلسفة المادية الإلحادية الحديثة يحاولون مهاجمة التراث الإسلامي والنيل منه بغرض صرف الناس عنه، وإعادة الأمور إلى دائرة الفوضى التي لا تقف عند باب بعينه، بقدر ما تهدم الأصول الثابتة، وتسعى لإشاعة الإلحاد في عالم نحن جزءٌ منه، وذلك يستلزم مقاومة هذه النظريات الإلحادية، وبيان الأخطاء التي تقوم عليها، فذلك مصلحة لديننا ودفاعٌ عنه.

٢- إن نظريات نهاية الكون تتبنى التركيز على عدم وجود الإله، وبناءً عليه فإذا افترضوا أن الله ليس موجوداً، وأن العالم نشأ بطريق الفوضى، وسينتهي بطريق الفوضى أيضاً، فقد صارت الفوضى هي العنوان الذي يتحدثون عنه، ويصير حديثهم عن الفوضى الخلاقة في بداية الكون ونهايته هي الحديث الذي يجب أن يتغنى به الجميع، وتسقط عقيدة الألوهية من الجميع، وهذا ما لا يرضاه الله ورسوله، ولا واحدٌ من المسلمين.

٣- إن نظريات نشأة الكون، ونظريات انهدام الكون، تدل كل واحدة منها على عكس ما تبناه أصحاب الفلسفة المادية أنفسهم، أما لماذا؟ فلأن قضيتهم الأساسية هي استغناء العالم عن الإله بدايةً، وما داموا قد اعترفوا أن للكون بداية هي الانفجار العظيم فقد أقروا بأن العالم له بداية، وليس بلا بداية فوجب عليهم الاعتراف بوجود الله، وإثبات الكمالات مع حدوث ما سواه.

٤- إن حديثهم عن نهاية الكون فيه إقرارٌ بأن للكون نهاية، وكل ما له نهاية يكون حادثاً بها، ولا يصح أن يكون قديماً، أو أزلياً، أو أبدياً، فسقطت شبهاتهم، وضاعت أفكارهم، وانحطت مداركهم.

---

(١) السبب هو عبارة عما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه. الشريف الجرجاني، التعريفات، باب السين، ص ١٠١، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٥- إن النظريات التي يتحدثون عنها احتمالية طبقاً لقوانين العلم، وخلق الكون والحديث عنه من ناحية الخالق العظيم قضاياه يقينية، ومن المعلوم لدى الباحثين أن الاحتمال لا يساوي اليقين بحال من الأحوال، ومهما كان الجدل فإن الحق أحق أن يتبع، ولابد للفلسفة المادية من إعلان أن نهاية الكون بيد الله، كما أن بدايته بيد الله، ومن المؤكد تُساوى البداية في مصدرها الإلهي، وكذلك النهاية.

٦- إن ما يشغل الرأي العام، ووسائل التواصل الاجتماعي هو عملية العبث أو اللامعقول التي يقوم بها أصحاب الفلسفة المادية الإلحادية في وقتنا الحاضر، ويطلقون أسماء وهمية على حقيقة الذات الأقدس جل علاه، ومنها "الله الفرضية الفاشلة"، وكذلك "وهم الإله" إلى غير ذلك مما تبناه هؤلاء، ولابد من الرد العلمي، وهو الذي أسعى إلى تحقيقه في هذا البحث.

ثانيا: منهجي الذي أقوم عليه

لما كان عنوان البحث متعلقاً بنظريات غير يقينية على سبيل العرض والمناقشة، فقد أحتاج المنهج التحليلي تارة، والنقدي أخرى، ولا مانع لدي من أن يكون هناك منهج ثالث جامع بينهما، وهو المنهج المتكامل الذي يُعتبر أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) أول من نبه إليه وطبقه في مؤلفاته، وبخاصة رسالة: الحكمة في مخلوقات الله"[١].

من المؤكد أن المنهج الذي أعتمد عليه إن شاء الله تعالى في العرض يكون قائماً على الوصف، ثم جمع المعلومات، ثم تصنيفها عن طريق التحليل فيكون

(١) طُبعت هذه الرسالة ضمن ست وعشرين رسالة تحت عنوان واحد هو مجموع رسائل الإمام الغزالي، وقامت بطبعها المكتبة التوفيقية بالقاهرة، وعليها تحقيق تجاري لا يقدم جديداً، بل ربما أخفق في تقديم نفسه كمحقق علمي يجب أن يكون له استقلال نوعي.

هو الغربال الذي أعمله لاستخراج الثمار من القشر، ثم إذا جاء موعد النقد أكون قد أعددت له العدة حتى أقوم على الاختصار المفيد، وليس التطويل المخل.

ثالثا: الأهداف والغايات

من المؤكد أن الهدف هو الذي يقوم في العقل الواعي، ثم يسعى صاحبه لتحقيقه، حينئذ ترتبط به غاية فإذا لم تقترن الغاية بالهدف يكون كلاهما من أنواع العبث.

١- إثبات أن ما يزعمه أصحاب الفلسفة المادية لا يستقيم مع الحقائق العلمية، أما الغاية فهي فضح تلك التقارير التي يصدرونها تحت زعم أنهم باحثون عن الحقيقة، بينما هم يتبنون كل باطل.

٢- إن التراث التي تتعامل به الفلسفة المادية اليوم على أنه بَنات أفكار العصر الذي نعيشه، إن هو إلا بقايا تراث قديم تمت إعادته للحياة، أما الغاية فهي بيان أن كل ما يزعمه الماديون إن هو إلا نوعٌ من تزييف الحقائق بغرض إطفاء نور الله ولن يكون، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

٣- إن العالم الذي نعيشه تكثر فيه الاضطرابات بأنواعها المختلفة، وأكثرها شيوعاً الاضطرابات النفسية، بحيث يمكن القول بأنا نعيش عصر الانفلات المرضي، أما الغاية فهي بيان أن العلاج لهذا كله يجب أن يستمد من المصدر الثابت، وهو القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

(١) سورة الصف، الآية ٨.

رابعا: المشكلات البحثية

١- كثرة المكتوبات حول الفلسفة المادية من خلال أصحابها، بحيث إذا أراد باحث تناولها كان من الصعب عليه أن يجمعها.

٢- إن ما كُتب بلغة أصحابه إذا تُرجم إلى العربية من خلال مترجم قاموسي فقد حيويته، وصار من السهل رده بحجة أنه ليس الذي تبناه صاحبه، وحتى تُحل تلك المشكلة يجب أن يكون المتحدث بها يجيد العربية، فيكتب باللغة التي يجيدها، وأن يكون المطالع لها متمكناً من نفس اللغة التي كُتبت بها لكن الأمريين مفقودان، وهنا تبدو مشكلة.

٣- إن الذين كتبوا عن نظريات الفلسفة المادية في الغرب تحللوا من كافة القيود التي تتعلق بالصياغة حتى نزلت مستوياتهم إلى لغتهم العامية، فأفقد الكلمة المكتوبة روح التواصل مع الآخر، وتلك مشكلة تشبه أن تكون صورة لحال الميت الذي تحاول إسماعه، وليس يستجيب، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾[1].

خامسا: مكونات الدراسة

تتكون هذه الدراسة من مقدمة، أتناول فيها أسباب اختيار الموضوع، والمنهج المستخدم، ثم الأهداف والغايات، والمشكلات البحثية، ثم يجيء:

تمهيد:

الفصل الأول: أسباب الموت الحراري "عرض ومناقشة".

الفصل الثاني: مظاهر الموت الحراري "عرض ومناقشة".

- **خاتمة وتتضمن:** أهم النتائج، أبرز التوصيات، وأهم المقترحات، والمصادر والفهرس العام.

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٠.

تمهيد

يعتبر الحديث عن نهاية الكون كالحديث عن بدايته من الناحية الشرعية، والله (ﷻ) هو الخالق للكون، وهو جل شأنه عالم بكيفية الخلق، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(١).

والله (ﷻ) وصف كيفية خلق السماوات والأرض ومن بينهما في نصوص محددة قطعية في ورودها ودلالتها الشرعية، منها قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢).

قال الإمام الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) في معنى الآية الكريمة: (لما أخبر كونه تعالى خالقاً للأرض في يومين أخبر أنه أتى بثلاثة أنواع من الصنع العجيب بعد ذلك)(٣)، وهي الجبال الرواسي والبركة القائمة في الأرزاق ثم السماوات.

ثم بين (ﷻ) أن خلق السماوات والأرضين تم في وقت لم يكن أحدٌ من الخلائق موجوداً ليسجل تاريخ هذا الميلاد، قال تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾(٤).

وما دام أمر الخلق لا يعلمه إلا الله (ﷻ) من حيث المبدأ، فإن كل نظرية يطلقها البشر حول تاريخ خلق السماوات والأرضين لا يعتد بها، بل لا يمكن قبولها، إذ الدلائل كلها على غير ما ذكروا.

---

(١) سورة الملك، الآية ١٤.

(٢) سورة فصلت، الآية ٩.

(٣) العلامة الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد الثالث عشر، ج٢٦، ص ٦٠٣، طبعة دار الغد العربي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ١٤١٣هـ.

(٤) سورة الكهف، الآية ٥١.

وإذا كان الفخر الرازي قد نبه إلى جانب الخلق من السماوات والأرضين حسب ما وفق إليه، فإن حديثه إنما هو مستمد من فهم توجيه النص القرآني ودليل ذلك قوله(لما حصل تخليق ذات الأرض في يومين، وتخليق سائر الأشياء الموجودة في الأرض في يومين آخرين، وتخليق السماوات في يومين آخرين، كان مجموع ذلك ستة أيام)[1]، وهذه الأيام الستة مُشار إليها في آيات منها، قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[2].

وبناءً عليه تأكد أن السماوات والأرض استجابتا لأمر الله في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[3]، ولا يمكن أن يخاطبهما أو يناديهما إلا بعد حصول وجودهما، ومن ثم بان أن خلق الكون وما فيه راجعٌ إلى إرادة الله تعالى التي خصصته، والعلم الإلهي الذي سبقها فكشفه[4]، ثم القدرة التي نفذت ما خُصص.

---

(١) الإمام الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص ٦٠٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٥٩.

(٣) سورة فصلت، الآية ١١.

(٤) صفة العلم هي(صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالواجبات، والجائزات، والمستحيلات، تعلق إحاطة وانكشاف. الشيخ: أحمد بن محمد المالكي الصاوي، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، ص ١٧٨، تحقيق الدكتور: عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير دمشق، بيروت ١٩٩٩م، وعرفها العلامة الدسوقي بأنها (صفة ازلية متعلقة بجميع الواجبات، والجائزات، والمستحيلات، على وجه الإحاطة على ما هي به من غير سبق خفاء. العلامة: الدسوقي، حاشية الدسوقي على "أم البراهين"، ص ١٠٥، دار إحياء الكتب العلمية، طبعة الحلبي ١٩٣٨م.

ومن المعلوم أن الله (ﷻ) يخلق ما يشاء، وتتعلق الإرادة بهذه المشيئات على ناحية تنظيمية، فالإرادة تخصص وهي (صفة قديمة زائدة على الذات بها يتخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه[١]، فإذا انتهى الأمر إلى الإيجاد من العدم فالذي تقوم به القدرة، من حيث إنها (صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، زائدة عليها بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة[٢]، ذهب العلامة الدردير إلى القول بأن القدرة (صفةٌ أزلية يتأتى بها إيجاد الممكن وإعدامه من وجود أو عدم، ومقدار، وزمان، ومكان، وجهة)[٣]، وحيث أن نشأة الكون لا يعرف حقيقتها إلا الله تعالى فقد بات المطلوب من العلم البحث عن المصادر الحقيقية أو مصادر الحقيقة التي يجب الوقوف عليها، والتمسك بها.

من المؤكد أن العلم الحديث باختراعاته واكتشافاته، قد ولد حين ترك الإنسان مذهب الأقدمين[٤] (الذي قام على طلب العلم مستخدماً التفكير أداة، والنظر في الكون وسيلة إلا أنه بدأ في طلب العلم عن طريق المشاهدة والتجربة، لذلك كان الدور الأول من أدوار نشؤ العلم الحديث هو دور مشاهدة تكاد تكون بحتة، ليس للتفكير فيها إلا بقدر ما يضمن صحتها)[٥]، وليتهم أدركوا تلك المسألة ووقفوا عندها.

---

(١) الإمام الباجوري، حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد، ص ١٢٢، طبعة الحلبي ١٩٤٦م.

(٢) الشيخ أحمد بن محمد المالكي الصاوي، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، ص ١٦٩.

(٣) العلامة: أبو البركات أحمد بن محمد الدردير، شرح الخريدة البهية وعليها حاشية على الشرح للعلامة محمد بن أبي السعود السباعي، ص٣٣٧، ٣٣٨، حققه وراجعه: السيد على الهاشم، طبعة الشركة الدولية للطباعة والنشر الأولى ١٤٢٣هـ.

(٤) كان الأقدمون يرون العقل مصدراً للحقائق مستغنياً بذاته عن المشاهدة، ولا يرون أن امتحان الأشياء نفسها ضرورياً لطلب العلم، ولذا فالفارق بين الأقدمين والمحدثين كاشف عن هُوة سحيقة بينهما.

(٥) الدكتور: محمد أحمد الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص ٤٢، مطبعة السعادة الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

لقد انطلق البحث العلمي فوقع بعضه في قبضة الفلسفة المادية الحديثة، التي أسندت نشأة الكون إلى ما عُرف باسم النظريات الحديثة، ومنها الانفجار العظيم وما جاء معه، مما سودت فيه صفحات كثيرة ناسبةً الخلق، والإيجاد إلى غير الله تعالى، ومن الغرابة قولهم أن الانفجار العظيم هو الذي نشأت عنه الشموس، والأقمار، والأرض، والسماء، ويعجزون عن تصوير الانفجار بما يتفق مع وجهات نظرهم(١)، بما يدل على أن قضاياهم احتمالية لا تعارض اليقين.

من الغرابة قول الفيزيائيين الآن (أن الكون في حالة ما وراء الاستقرار، ويعنون به أن التبريد الذي حدث منذ الانفجار الكبير الساخن تركنا في كون في حالة برودة فائقة، بدلاً أن يكون كوناً متجمداً)(٢).

وإذا كان أمر نشأة الكون على ما سلفت الإشارة إليه، فإنهم يعتقدون أن نهاية الكون ستكون كبدايته لا تحتاج إلى خالق عظيم يقضي فيها بأمره، ويحكم فيها بفعله، وينهيه إن شاء الله بقدرته، ورغم مجيء آيات تكشف هذا الجانب إلا أن القوم تركوها جانباً، ولم يلتفتوا إليها.

وقد جاءت آيات محددة تكشف هذا الجانب منها قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣).

---

(١) الواضح أنهم يختلفون في مفهوم الانفجار العظيم، وهل ينسبونه إلى الفيزياء أو الفلك، وكلٌ من الفيزياء والفلك يقف مخالفاً للآخر، ويظل به حتى يأتي عليه، وما ذلك إلا لأنهم تجاسروا على الخالق العظيم، وأرادوا أن يجعلوا أنفسهم خالقين مع أنهم مخلوقون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٢) فرانك كلوز، النهاية الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون، ص ٢٤٠، ترجمة الدكتور: مصطفى إبراهيم فهمي، سلسلة عالم المعرفة بالكويت، العدد ١٩١.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٨٧.

قال الإمام الفخر الرازي: (إنه تعالى لما تكلم في التوحيد، والنبوة، والقضاء، والقدر أتبعه في الكلام مع المعاد لما بينا أن هذه المطالب الكلية في القرآن ليست إلا هذه الأربعة)[1]، وعليها مدار الكون في الدنيا، وصلاح أمر العباد في الآخرة.

من المؤكد أن الله (ﷻ)، وهو يتحدث عن الساعة جاء الجواب، قل إنما علمها عند ربي وهو غاية الإيمان والتسليم، ولا يخفى أن الذين سألوا عن الساعة، وأجاب الرسول عليهم لم يكونوا مؤمنين[2]، وأيما كان الأمر فإن علم الساعة الذي يترتب عليه تغير نظام الكون لا يعلمه إلا الله، مع التأكيد على أن الساعة آتية، وأن الله وحده هو عنده علمها، وربما كانت الإشارة واضحة الدلالة في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[3].

ثم إن موعد الساعة الذي يترتب عليه تغير نظام الكون رأى فيه المحققون أمراً جميلاً، حيث (ذكروا أن السبب في إخفاء الساعة عن العباد أنهم إذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على حذر منها[4] فيكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر

(١) الإمام الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد السابع، الجزء الرابع عشر، ص ٣٨٦.

(٢) ذكرت في المسألة آراء أحدها: أن السائل قومٌ من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى تقوم الساعة فنزلت الآية، وهو مروي عن ابن عباس (ﷺ)، الثاني: أن قريشاً قالوا يا محمد بيننا وبينك قرابة فاذكر لنا متى الساعة، فنزلت الآية، وهو مروي عن الحسن وقتادة.

(٣) سورة طه، الآية ١٥.

(٤) دلت الدلائل على أن الإنسان الحذر قليلاً ما يقع في التقديرات السلبية، أما غيره فكثيراً ما يقع في السلبيات، ولذا أخفى الله تعالى عن الخلق علم الساعة، حتى يكونوا على حذر من المخالفة، قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى

عن المعصية)[1]، وحينئذ يقف المؤمن على طريق الهداية، بينما غيره يتخلف عنه.

البين أن القرآن الكريم وهو يتناول مسألة انهدام الكون يوضح المقصود، وأعنى به ما يتعلق بالخلق الإلهي، والله (ﷻ) جرت سنته أنه إذا خلق خلقاً وأدوا ما كلفوا به أو خالفوا فإنه تعالى يستبدلهم بآخرين، يطيعون الله وقليلاً ما يعصون.

قال الشيخ صالح بن حسن النُقلي: (لله في خلقه شئون، وأمره بين الكاف والنون، وعلم الله عن الساعة يختلف عن العلم المحدث، فالعلم القديم هو الذي عليه المدار، أما المحدث فبعيد عن ما جاء به النقل الصحيح)[2]، لأن أمر الساعة لدى خالقها، وأمره جل شأنه بين الكاف والنون.

كذلك انحصر علم الساعة وانهدام الكون عند العلم الإلهي لا عند علم غيره، وقد جاءت آيات القرآن الكريم منوهةً إلى ذلك، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾[3]، والمعنى أن الله تعالى في حديثه عن قيام الساعة أكد ذلك بالبرهان العقلي، من حيث إنها أمرٌ ممكن، ثم أخبر بأن الممكن لا يكون مستحيلاً، فأخبر عن وقوعها، وذكر أحوالها وأحوال الأشقياء والسعداء فيها،

ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ سورة لقمان، الآية ٣٤.

(١) العلامة: الشيخ محمد نور الدين بن محمد زهران، نظرات في آيات القرآن الكريم سورة الأعراف، ص ٢١٢،٢١٣، طبعة دار سعادة ١٣١٥هـ.

(٢) الشيخ: صالح بن حسن النُقلي، القرآن تفسير وبيان، ج٢، ص ١١٥، طبعة دار سعادة ١٣١٣هـ.

(٣) سورة النازعات، الآية ٤٢.

وإذا كان المشركون يستهزئون بها، وينكرون أخبارها، بقولهم: "**أَيَّانَ مُرْسَاهَا**" فإن الله تعالى بين أن هذا المرسى قد جاءت إليه إشارات لمن يفهمها، ومنها بعثة النبي الخاتم، الدال عليه قوله (ﷺ) عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ" قَالَ: وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى(١).

روت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) كَانَ لَا يَزَالُ يَذْكُرُ مِنْ شَأْنِ السَّاعَةِ، حَتَّى نَزَلَتْ "**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا**"(٢)، فكان هذا تعجباً من كثرة ذكرها، كأنه قيل في أي شيء تشتغل وتهتم من ذكرها والسؤال عنها.

لم تقف الآيات عند هذا، وإنما جاء الحديث عن نهاية علمها، وبيان أن ذلك لا يؤتيه أحد من خلق الله فيبطل أمرها لأنها غيبٌ مما احتفظ الله تعالى بعلمه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وإذا كان أمر الساعة على ما سلف، والفلسفة المادية الحديثة تُقرر نظريات يجرى فيها الاحتمال، ولا يصح شيءٌ منها فيما يتعلق باليقين، فقد بات من الضروري تناول الأفكار التي تتزاحم حول المسألة، وبيان جهودهم في عرضها، ثم التوجه إليها ببيان فساد الأسس التي تقوم عليها، وكيفية إقامة بناءات عقدية صحيحة بشأنها، وسيكون ذلك على النحو التالي:

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، رقم الحديث ٢٩٥١، ج٤، ص ٢٢٦٩، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت

(٢) أخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة النازعات، رقم الحديث١١٥٨١، ج١٠، ص ٣٢٣، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

١- تعريف الموت الحراري[١]:

يجدر بي تعريف الحرارة أولاً، ثم الموت الحراري ثانياً، فالحرارة طاقة قابلة للانتقال بطرق مختلفة، مثل الإشعاع، والحمل، والتوصيل.

ومعناه أن الحرارة لابد فيها من ناقل، وأن يكون هذا المنقول إليه يشبه الأصل، فيكونا جسمين طالما كانت الحرارة بينهما واحدة، فإذا اختلف الأمر فإن هذا الاختلاف لا يعطي الحرارة فرصة الانتقال بين جسمين تكون درجة حرارة كل منهما مختلفة عن درجة حرارة الآخر ينتج من ذلك أن الحرارة ثابتة في كل جسم على حدة، وتنتقل بين أي جسمين متى اختلفت درجة حرارتهما.

عُرف الموت الحراري بتعريفات من أبرزها:

(إن الحرارة الموجودة في الكون ستنخفض، ودورة الوقود تصبح أبطأ وينخفض جسيمات النيوترينو[٢] بما يتفق مع ما نلاحظه)[٣]، وبناءً عليه تكون

---

(١) عُرفت الحرارة في المجال الفيزيائي بأنها، شكل من أشكال الطاقة التي ترافق حركة الجزيئات أو الذرات، أو أي جسيم يدخل في تركيب المادة (النواة أو مكوناتها)، أما مصادر الحصول على الحرارة فهو يقوم في أمرين، أحدهما: ما يتعلق بالطرق الفيزيائية، وتسمى الحرارة الفيزيائية، ومصادرها الاحتكاك أو تهييج جزيئات المادة، ثانيهما: الطرق الكيميائية وتحصل عن طريق الفاعلات الكيميائية، وتسمى الحرارة الناتجة عن التفاعلات الكيميائية. الدكتور: ذكرى صبار ضاحي، م. مي جاسم عاشور، ص ٤، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الصرفة، محاضرات قسم الفيزياء، ٢٠١٩/٢٠٢٠م.

(٢) **النيوترينو:** هو جسيم أولي بكتلة أصغر كثيراً من كتلة الإلكترون، وليست له شحنة كهربائية، وهو يخترق الأجسام التي يصدفها كأنها لم تكن موجودة، فهو لا يتفاعل معها، لأن تفاعله مع المواد ضعيف جداً. ايمان أحمد، النيوترينو وما وراء الذرات، ص ٢، طبعة ٢٠١٥م.

(٣) فرانك كلوز، النهاية، ص ١٢٦.

نهاية الكون مربوطة على ناحية وثيقة بالقوانين الفلكية، وما ينشأ عنها دون حاجة إلى إله خالق عظيم.

ربما يقال إن النظريات السائدة عن الشمس تشير إلى ارتفاع حرارتها، وتزايد سرعتها، كلما اقتربت من المركز، ويمكن لجسيمات الويمبات[1]، أن تُهدئ من هذا الارتفاع في الحرارة، بل وأن تبرد من حرارة الشمس على نحو فعال، لكن ذلك متوقف على قيام جسيمات الويمبات بذلك، ومن الواضح أنه يجب أن تكون تلك الجسيمات أثقل من بروتونات الوقود الموجودة في كل مكان، بما يتراوح بين خمسة أمثال وعشرين مثلاً[2].

من المؤكد أن هذه المسألة تحتاج العرض الذي يكشف عن جوانبها، ثم المناقشة التي لابد منها، وسيكون ذلك على النحو التالي:

١ – المفهوم الأمثل للموت الحراري:

المفهوم الأمثل هو الذي تم استخلاصه من مَقُولات الفلاسفة الماديين، بحيث يتم التعامل معه مباشرةً، لأن المسألة فيها مغالطات تحتاج البيان، والكشف عنها، ثم الوقوف على الجوانب الخفية من التعريف.

---

(١) **الويمبز:** هو جسيمات ضعيفة التفاعل عالية الكتلة، وهي جسيمات مكونة للمادة المضادة. مجلة الباحثون المصريون، هل سنجد المادة المظلمة تحت أقدامنا، ترجمة: يارا محمد، مراجعة: أسماء مسعود، تدقيق لغوي: محمود خليفة، تحرير: نسمة محمود، تم نشأتها ٢٠١٤م.

(٢) الفرق بين الخمسة والعشرين هو ما يساوي ٥/١، وبالتالي إذا لم تتوفر تلك النسبة فإن حرارة الشمس ستظل متزايدة وبسرعة ويصل الأمر في النهاية إلى احتراق الكون، وليس إلى برودته، والمشكلة أنهم يعلقون الموت الحراري على برودة الكون، فأيهما نصدق.

فالموت الحراري:

إذاً هو (كل جسم ملتهب إذا ما وضع في وسط ذي حرارة أقل منه فإنه يبرد حينئذ ويفقد حرارته)[1]، ثم يعممون هذه المسألة وهي البرودة التي تستمر حتى يفقد الكون ما فيه من حرارة، بغض النظر عن المشاهد والغائب، لقد فهم هؤلاء أن الأجرام السماوية المشعة الملتهبة سوف تستنفذ بمرور الزمن كل حرارتها التي تنشرها إلى فضاء الكون البارد[2].

وما دام الموت الحراري الذي يتحدثون عنه قد ارتبط بأنواع الطاقة، فقد بان أن من السهل تحول الطاقة إلى حرارة، إلا أنه في الوقت نفسه عندما يعكسون ويقولون إن العكس وهو تحول الحرارة إلى طاقة عملية تجابهها صعوبات معينة، وتتطلب صَرف طاقة إضافية، فيه إعلانٌ عن تراجعهم حول المسألة التي عقدوا أمرهم بشأنها.

أضف إلى ما سلف اعتقادهم أنه متى كانت الأجرام السماوية المشعة الملتهبة سوف تعطي بمرور الزمن كل حرارتها إلى الفضاء الكوني البارد فإنها تنتهي، وما دام الأمر كذلك فإن الكون في النهاية سيصل إلى حالة الموت الحراري، وجميع أشكال حركة المادة ستتحول إلى حرارة قابلة للاستنزاف والفناء، وهذا الشكل الذي سيكون غير قادر على التحول من جديد، كما أن المادة ستفقد قدرتها على الحركة، وبالتالي يتم انهدام الكون وتقع له النهاية، على الناحية الفيزيائية من غير احتياج إلى خالق عظيم.

---

(١) راجع ق. أفانا سييف، أسس الفلسفة الماركسية "المادية الدياليكتيكية"، ج١، ص٤١،٤٢، ترجمة: عبد الرزاق الرصافي، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م، دار الفارابي بيروت.

(٢) فكرة فضاء الكون البارد تتردد لدى علماء الفلك، كما تتردد في مؤلفات الفيزياء الحديثة، والغريب أن كل رأي فيها يأتي على الآخر لا ليدعمه، وإنما ليهدمه، كلما دخلت أمة لعنت أختها.

من غير المؤكد اتفاق الجميع على هذا المفهوم، وإلا ما وجدنا اتجاهات أُخر تنتقل به من مفهوم إلى مفهوم، بدليل ما ذهب إليه الفيزيائيون من أن بحث كيفية عمل القانون الثاني للديناميكا الحرارية[١] للحد من نظام الكون، والدفع به بلا هوادة إلى حالة من الفوضى، والسؤال الآن؟ من أي ركن تبدو تلك الحركة التي تؤدي إلى رفع درجة الاضطراب في الكون بحيث لا رجعة عنها، يعتقد الفيزيائيون أنه يأخذ المخزون الضخم من تنظيم الكون في النضوب ببطء لكن بثبات تدريجي[٢]، ولكنهم مع هذا يعترفون بأن النهاية للكون قائمةٌ فيه نفسه، (حيث هو معد للتفتت المستمر، والوقوع في دائرة الاضطراب الأقصى)[٣].

مما سلف بيانه تأكد أن مفهوم الموت الحراري كما عبر عنه القائلون به لا يحتاج إلى إله، ولا يحتاج إلى فاعل، (وإنما يمضي في طريقه حتى النهاية، من غير حاجة إلى إله له من صفات الجلال والجمال ما يغطي تلك الجوانب كلها)[٤]، صحيح أن تلك الأفكار يطلق عليها في الفلسفة المادية اسم==

(١) القانون الأول للديناميكا الحرارية هو الطاقة الكلية لنظام معزول تبقى دائماً ثابتة، أي أن التغير في الطاقة الداخلية للنظام يساوي كمية الحرارة الممتصة بالنظام مطروحاً منها الشغل الذي يبذله النظام، ويعد القانون الأول للديناميكا من أكثر قوانين الديناميكا الحرارية شيوعاً واستخداماً في مجال الأرصاد الجوية. الأستاذة: حنان محمد، القوانين الأساسية للديناميكا الحرارية وتطبيقها في الغلاف الجوي، ص ٢٤، ٢٥، الأرصاد الجوية، العدد ٦٤.

(٢) فكرة النضوب ببطء تخالف حديث القرآن عن نهاية الكون، وأنها بين طلوع الشمس من مغربها، أو أنها تكون في وقت يتوقف فيه الزمان الفلكي نظرياً وعملياً لاختلال نواميس الكون المسيرة بقدرة الله تعالى وإرادته.

(٣) راجع بول دافيز، الله والفيزياء الحديثة، ص ٢٣٥، ترجمة: هالة العَورى، مكتبة مؤمن قريش، سوريا ٢٠١٣م.

(٤) راجع هشام طالب، بناء الكون ومصير الإنسان نقض لنظرية الانفجار الكبير" حقائق مذهلة في العلوم الكونية والدينية"، ص ٦٥٦،٦٥٧، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

== النهاية[1].

ربما يقال إن هذا الفصل قد انشغل بتعريف الموت الحراري، وركز على البناءات المعرفية التي يقوم فيها ولم يقدم نقداً لما عَرض فكأنه موافقٌ ما سلف، والجواب أن هذا الفصل وضع لتحديد المفاهيم، وليس من شأنه عقد مناقشات، فكأنه قائمٌ بدور المراقب للظاهرة من غير مناقشة لها.

(١) من أكثرها شيوعاً ما كتبه فرانك كلوز، النهاية الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون، شغلت صفحاته ما يربو على ٢٩٠ صفحة مدعماً بالصور والفرضيات التي اعتقد قائلوها أنها تصل بهم إلى غايتهم، وكذلك ما كتبه ستفن هوكنغ بعنوان الكون في قشرة جوز " شكل جديد للكون"، ص ٣١، وكذلك ما كتبه كريس إمبي، نهاية كل شيء من الإنسان إلى الكون، ترجمة: إيناس المغربي، كذلك كارل ساعان، وكتابه الكون، ص ١٥٣، فإنها جميعاً تناولت مسألة الموت الحراري، وأكدت عليه واعتبرته القاعدة التي لا يختلف عليها باحث أبداً، وهي أحكام بعيدة عن الواقع.

الفصل الأول

أسباب الموت الحراري "عرض ومناقشة"

من المؤكد أن الفيزيائيين الذين يتناولون مسألة نهاية الكون، قد وقفوا على ما يسمى لديهم الموت الحراري، واعتبروه الاحتمال الكئيب الذي يصاحب نهاية الكون التي تمثل كارثة سوف تدمر العالم لينشأ بعدها عالم جديد، حيث ينذر نهاية العالم الذي نعيش فيه بمولد آخر يشبهه، لكن سوف يكون جديداً حتى وإن كانت ملامحه هي ملامح العالم الذي انتهى.

ويعتقد الفيزيائيون أن ذلك من النظريات المهمة، ويؤكدون أن نهاية العالم كما بدأت، فإذا كانت بدايته الدفع بلا هوادة ناحية المنشأ، فإن المخزون الضخم الذي ينظم أمر الكون سيأخذ في النضوب ببطء ، وثبات أيضاً، بل يعتقدون (أن الكون معد للاستمرار في التفتت ويهرول في اتجاه حالة من توازن الديناميكا الحرارية، وبالتالي الاضطراب الأقصى)[1].

وإذا كان أمرهم قد استقر على أن موت الحرارة يترتب عليه نهاية العالم من غير حاجة إلى إله خالق فمن المناسب أن نتناول أسباب تلك الظاهرة الفيزيائية" الموت الحراري" لديهم، ثم نناقشها طبقاً للمعطيات الشرعية التي جاءت بها عقيدتنا الإلهية.

السبب الأول: تلاشي المصدر الحراري "أفول المصدر الحراري"

(أ) العرض:

يعتقد أصحاب الفلسفة المادية الحديثة أن الموت الحراري للكون سيبدأ باختفاء حرارة الشمس، ويعتقدون أن الشمس حين تأخذ في الأفول فإن المصدر

(١) بول دافيز، الله والفيزياء الحديثة، ص ٢٣٥، ترجمة: هالة العوري، ٢٠١٣م.

الحراري المنبعث منها سوف يتلاشى بتلاشيها، فإذا قدرنا (إن عمر الكون قد يمتد إلى هذا الكم السحيق من السنوات، فإن عمر كل من الشمس والأرض سيكون أصغر بكثير، أما لماذا؟ فلأنه يقل قليلاً عن خمسة بلايين من السنيين، إذن فلا يزال أمامنا نحن والشمس خمس بلايين عام لنفنى، والعلم الحديث يوافق على هذا التقدير لمستقبل الشمس)[1]، ويرتب النهاية طبقاً لذات المعطيات.

وبناءً عليه فإن سبب الموت الحراري قد عُلق على انخفاض الدور الذي تقوم به الشمس بحيث يعتبر أحد الأسباب الفاعلة في نهاية الكون، لكن السؤال هو كيف تختفي حرارة الشمس؟، والجواب لديهم أن حرارة الشمس سوف يحدث فيها تشنجات محتملة تؤدي إلى أن تبقى الأرض ومن عليها قاعاً صفصفاً غير صالحة للعيش، على معنى (إن أي تغيير في درجة حرارة الشمس الثابتة حالياً يمكنه إرباك التوازن المناخي الدقيق للأرض ويُغرقها في عصر جليدي كارثي)[2]، وبناءً عليه تكون نهاية الكون.

من المؤكد أن الفيزيائيين وهم ينظرون إلى الشمس باعتبارها الخطر الذي ينسحب من عالمنا فتعقبه الكارثة المتمثلة في نهاية الكون، فإنهم لم يُعيروا الأمر الإلهي من حيث الإرادة، والقدرة، والعلم، شيئاً من ذلك لقد كتبوا نهاية الكون من خلال ما ذكروه عن حرارة الشمس، فكأنها الإله الفاعل مع أنها آية من آيات الله.

---

(١) فرانك كلوز، النهاية، الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون، ص ١٠، ترجمة الدكتور: مصطفى إبراهيم فهمي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٩١، طبعة ١٩٩٤م.

(٢) بول دافيز، الله والفيزياء الحديثة، ص ٢٣٦.

من غير المناسب القول بأن ما علقوه على الشمس لم يقف عند الفيزيائيين وحدهم، بل شاركهم فيه مجموعة من علماء الطبيعة[١]، والفلكيين، غايتهم من ذلك التأكيد على الفكرة الأساسية وهي أن الكون

كما نشأ من غير فاعل مختار، فإن نهايته يجب أن تكون كما ابتدأ من غير حاجة إلى فاعل مختار[٢]، لقد فهم هؤلاء (أن العصور الإنسانية قد مرت بمراحل أطلقوا عليها مرحلة النَسق الابتدائي، ثم مرحلة الاستقراء باعتباره النسق التاريخي، ثم يدخلون إلى النهاية ويطلقون عليها اسم أزمة الاحتضار)[٣]، وليتهم فكروا في العبارات التي صاغوها.

لقد نظر هؤلاء إلى الشمس نظرة فيها الكثير من الضغط الفكري، وحملوها ما لا تحتمل واعتبروها المسؤولة عن نهاية الكون، وصاغوا قضاياهم من خلال أفكار تلقوها من الأساطير وحكوها دون أن يخجلوا منها[٤]، وهذا شأن من يفعل دون وعي، أو يطلق أحكاماً لم تقم على مقدمات صحيحة.

---

(١) الفرق بين علماء الفيزياء، وعلماء الطبيعة أن الأولين "الفيزيائيين" يمارسون أعمالهم داخل المعمل فتأتي معهم النتائج طبقاً للمواد التي يستعملونها في معاملهم، أما علماء الطبيعة فهم الذين يكتفون بملاحظة أسرارها من الناحية النظرية.

(٢) رجال الفلسفة المادية الحديثة في صورها الإلحادية يعتمدون في معارفهم على التراكمية بغض النظر عن المصدر الذي نُسبت إليه.

(٣) إيمانويل فالرشتاين، نهاية العالم كما نعرفه، ص ١٥، ترجمة الدكتور: فايز الصباغ، هيئة البحرين للثقافة والآثار، مكتبة ٤٠٩، الطبعة الأولى ٢٠١٧م.

(٤) من المؤسف أن تكون نظريات انهدام الكون في الفلسفة المادية الإلحادية الحديثة قائمة على الأساطير، ثم إلباس تلك الأساطير لغة يعتقدون أنها علمية، فما أبعد القواعد العلمية عن الأساطير والخرافات، حتى وإن تم التعامل معها باعتبارها أحد روايات الخيال العلمي.

يذكر "فرنك كلوز" تلك الأسطورة التي قاموا عليها فيقول: (في معبد براهما يقوم الكهنة بعدّ الأيام حتى نهاية الزمان[١]، وهذا العد مقدسٌ لديهم، يقول "كلوز" يحتوي المعبد، طبقاً للأسطورة على ثلاثة أهرام مقدسة من الحجارة، تمثل أحدها براهما الخالق، أما الثاني فإنه يمثل فشنو الحافظ، أما الثالث يمثل شيفا المهلك)[٢]، وهي كما ذكر أسطورة، لا تمت للعلم الطبيعي بصلة، ومع هذا بنوا آراءهم عليها، ومن ثم فإن كل هرم من الأهرام المقدسة قد ارتبط بأحد أبطال أسطورة معبد "براهما".

لم تقف الأسطورة عند هذا الحد، وإنما سعت لخداع متلقيها فذكرت أنه في اليوم الأول؟[٣]، خلق "براهما" العالم، وبنى هرماً واحداً من اثنين وأربعين حجراً بحيث تكون أكبر الحجارة في أسفل وأصغرها من أعلى، وفي كل يوم عند الغروب ينقل كهنة المعبد حجراً واحداً من براهما إلى فشنو، ومن فشنو لشيفا، وربما نقلوا الحجر مباشرةً من براهما لشيفا دون المرور بفشنو، والقاعدة الوحيدة التي ينبغي مراعاتها في ذلك هي ألا يضعوا قط حجراً كبيراً فوق حجر صغير[٤].

---

(١) الواضح أن بداية القصيدة هي نوع من الكفر لأن قيام الكهنة بعد الأيام حتى نهاية الزمان فيه إشارة إلى كونهم يعلمون تاريخ نشأة الكون، ويعدون تاريخ نهايته، رغم أن كل ما يُحكي يعترفون هم بأنه نوع من الأساطير.

(٢) فرانك كلوز، النهاية، ص ٩.

(٣) لا تدري الأسطورة بل لا تذكر اليوم الأول من ماذا، وهي لم تحدد عمراً لشيء أبداً، وأعتقد أن الأسطورة انتقلت إلى الخرافة، بحيث تزداد المسألة تعقيداً أمام العقل الواعي.

(٤) الأسطورة تحاول صياغة الأفكار كأنها تعرضُ فيلماً سينمائياً لضيقي العقول أو من يتمتعون بطفولية عقلية.

وتنقل الأسطورة القارئ إلى نهاية المطاف فإن: (كل الحجارة ما عدا حجر واحد قد تم نقلها من الخالق مروراً بالحافظ إلى الكون المنتمي إلى المهلك[١]، ومع أفول الشمس ونقل الحجر الأخير تكون مهمة الكهنة قد اكتملت، لقد خلق براهما الكون، وها هو شيفا يفنيه الآن، ولن تشرق الشمس قط مرة ثانية)[٢]

لقد علق هؤلاء بقاء الكون في يد براهما، ونهايته في يد شيفا طبقاً للأسطورة، وجاءت الفلسفة المادية الحديثة لتعلق نهاية الكون بالشمس فإذا كانت بدايته لدى الفلكيين كانت مع الانفجار العظيم، فإن نهايته لدى الفلكيين تكون على يد الشمس.

يذكر الفيزيائيون ضرورة تدخلهم في المسألة إذ يقفون حيارى وقد سبقهم الفلكيون، لقد نادوا بأعلى صوت إن وجودنا مقترن بمصير الأرض (ومصير الأرض مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمصير الشمس حيث تتغذى الحياة على الأرض على ضوء الشمس، وأي تشوش أساسي في هدوء الشمس الحالي سوف يفضي إلى كارثة)[٣].

لقد فهم الفيزيائيون أن نظرية الموت الحراري يجب أن تُطرح للنقاش العلمي، لكن انتهت المناقشة بأن تناولها من الناحية الفيزيائية سوف يكون بمثابة انعكاس لاتجاه الزمن، فبدل أن يمضي للأمام يعود للخلف حينئذ تصل الحياة

(١) الخالق هو براهمة، والحافظ هو فشنو، أما المهلك هو شيفا، طبقاً لما تمضي فيه الأسطورة فإن الأمر ينتقل من براهمة الخالق إلي شيفا المهلك، من غير أن يكون لأحدهم أثر في هذا الانتقال.

(٢) فرانك كلوز، النهاية، ص ٩.

(٣) بول دافيز، الله والفيزياء الحديثة، ص ٢٣٦.

إلى حالة الجمود[1]، من حيث إن قلب الشمس سوف ينتهي إلى نجم من نوع صغير يطلق عليه علماء الفلك العملاق الأحمر، وفي ذات الوقت يظل قلب الشمس كافحاً يائساً للحفاظ على إنتاج الطاقة.

غير أن هذه المهمة سوف لا تستمر طويلاً وإنما ستنتهي، لكن متى؟ الجواب حين يتم استهلاك كافة الوقود تتواضع الشمس وتنتقل من الحرارة إلى مرحلة استنفاذ الوقود فيقع لها التقلص، ويتم سحق المواد داخلها بعنف شديد، ومن المؤكد أنها ستصل إلى حجم الأرض وتبقى خامدة، وتبرد ببطء لتنتهي مهمتها وتصبح نجماً قزماً أسود[2]، وليتهم قدموا شيئاً يمكن النظر فيه، أو الاعتماد عليه.

وإذا كان الفيزيائيون يعلقون أهمية كبرى على الشمس باعتبارها المسؤولة عن البقاء الحراري، وأنها إذا لم تدافع عن وجودها سقطت وسارت إلى العدم، واندفع الكون كله إلى الهاوية، لكن أليس من الصواب أن يكون هؤلاء أكثر وعياً ويتصورون نهايةً للكون من وجهة نظرهم تكون بعيدة عن تحميل الشمس وحدها تلك النهاية، والجواب أن ذلك يمثل ردةً لديهم وهم لا يريدون الإقرار بها.

(ب) المناقشة

من البين أن المناقشة يجب أن تتبني أولاً على قضايا العلم الذي تم تناولها في العرض حتى يكون أمرهما معاً على قاعدة التساوي أو الاستواء، ذلك أن

---

(١) فكرة انعكاس الزمن تخالف الواقع ولا تحتمل شيئاً من الصواب، وقديماً تَندر أصحاب النَظم من هذا التراجع للخلف فقال ليتُ وهل ينفع شيئاً ليتُ ... ليتُ شباباً بوع فاشتريتُ. بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج١، ص ٥٠٣، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

(٢) بول دافيز، الله والفيزياء الحديثة، ص٢٣٧.

المناهجية المعاصرة تبين المنهج الذي يجب إتباعه وتطبيقه مع أصحاب الجدل إجمالاً وتفصيلاً، وسوف أمضي المناقشة في حدود ما يلي:

١- معارضة النصوص النقلية

ومعناه التأكد من معارضة هذا السبب لحقيقة ما نؤمن به من الحق[١]، أما لماذا؟ فلأن عرض تلك الشبهة قد تم بعيداً عن إطار المناهجية المعاصرة، وقد سلك مسلك الجدل فيقع تكلف في دفعها، أما إذا قامت عملية المناقشة على بيان معارضة السبب لحقيقة ما نؤمن به من الحق، فإن المسألة تكون في الإطار الصحيح.

ونحن بدورنا نؤكد أن فكرة تلاشي المصدر الحراري، لا تعتمد على نظرية الانكماش، ولا التمدد، أما لماذا؟ فلأن الفيزيائيين أنفسهم وهم يتحدثون عن الشمس كمصدر حراري ربطوا بينه وبين الجاذبية، وهذا في حد ذاته كاشف عن بقائها لا زوالها، وبالتالي تصير فكرة موت الشمس قابلة للطعن عليها من مخالفيها الذين تتساوى شبهاتهم مع أسباب مخالفيهم، والقاعدة "أنه إذا تطرق إلى الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال"[٢]، ثم إن القائلين باختفاء مصدر حرارة الشمس هم الذين يؤكدون أن حرارتها تستمر ولا تنقص.

يقول" كلوز": (الشمس هي المصدر الأساسي للطاقة، وهي التي تقود دورة الجو، وتتحكم في المناخ، وإذا اصطدمت أشعتها بطبقات الجو العليا فإنها

(١) الأستاذ أحمد بن يوسف السيد، أصول الخطأ في الشبهات المثارة ضد الإسلام وثوابته، ص ١٤، مركز دلائل، بدون تاريخ.

(٢) فكرة الاحتمال قائمة في كافة النظريات العلمية، ولها جذور في المفاهيم النظرية، بل ربما تجاوزتها في مسعى قديم برزت مظاهره في بعض الأحكام الفقهية، من أمثال ما لو خلق ذراعان في يد واحدة فأيهما التي تكون محلاً للوضوء.

تتشتت ولا تنتهي)[1]، وبناءً عليه فإنها لا تموت، وإنما تتفرق لمصالح ترجع إليها.

ليس هذا فحسب بل إن تلك الأشعة الصادرة عنها قد يتم امتصاصها كليةً، ومن ثم فلا تنتهي، وإنما تسكن أجزاء أخرى على أقل تقدير فإذا تخلت عن الطريقين" التشتت والامتصاص" فلا يبقى إلا أن تعود بصورتها الأولى مبثوثة لكن بواسطة جزئيات لا تنقطع ولا تنتهي طبقاً لقاعدة فيزيائية مفادها(أن مقدار الطاقة في الكون ثابت، وأن المادة لا تَفنى ولا تستحدث من عدم)[2]، فبان فساد ما زعموه من أن الشمس تموت.

٢- اضطراب النظريات التي قام عليها السبب.

إن فكرة اختفاء الشمس كمصدر حراري لم يتفق عليه القائلون بها، وإنما الترجيح للأمرين يقود في النهاية إلى الشك فيهما معاً، وبناءً عليه لا يمكن القول بأن الموت الحراري حقيقة علمية، وأن اختفاء الشمس كمصدر حراري هو الآخر حقيقة علمية، بل الصواب أن نقول أنها وجهات نظر لم تسلم لأصحابها، ولم تبلغ حد اليقين، وإنما في حيز الاحتمال.

أضف إلى ما سبق أن فكرة اختفاء مصدر الشمس الحراري قد يكون له ما يؤكده في العلم الإلهي، لكن نسلك معه مسلكهم، ولو أنهم قيدوا كتاباتهم بأن نهاية الكون واختفاء مصدر الحراري الناتج عن الشمس راجع إلى الله ما كان بيننا وبينهم شيء من جدل، وإنما كنا نضع أيدينا وأيديهم في اتجاه واحد، عمادنا قول الله تعالى:﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ

(١) فرانك كلوز، النهاية" الكوارث الكونية"، ص ٩٥.

(٢) راجع للعالم الفيزيائي جون هيراك، مذهبنا الفيزيائي واعتقاداتنا الكامنة، ص ١٣٥، ترجمة الدكتورة: وصفية بنت محمد سلطان الدين، طبعة الهند ٢٠٠٥م.

ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[1]، ويكونوا معتمدنا عالم الغيب، قال تعالى:﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[2].

لقد فهم هؤلاء أن هذا السبب راجع إلى الشمس وما ينطوي معها وليس بعلمه وحكمته، ومن ثم يمكن القول بأن هؤلاء من أصحاب الإلحاد الجديد الذي له (حضور متنامي في المشهد العقدي عالمياً، وله رموزٌ وأدبيات، وأدوات متنوعة في الترويج للفكرة الإلحادية)[3]، والله غالب على أمره.

٣- قلب الحقائق

المعلوم أن النظريات التي تدور في نطاق العلم لا يخلو أمرها من كونها احتمالية، قابلة للأخذ والرد، فإذا تحول القول بها إلى حقيقة علمية فقد قفز أصحابها من الاحتمال إلى دعوى اليقين متجاوزين الحقائق العلمية، وبناءً عليه لا يعدو أمرهم سوى أن يكون محاولة لقلب الحقائق، والانقضاض على المفاهيم دون أن يكون هناك مبرر واحد، وآيةُ ذلك ما ذكره "ستينجر" بقوله: (إن الكون المشاهد وقوانين الفيزياء ومعاملها تبدوا كما يتوقع أن تكون موجودة لو لم يكن هناك إله موجود، ومن هنا يمكننا استنتاج بما يتجاوز الشك العقلاني أن الله بهذا الوصف غير موجود)[4]، وهي دعوة فاجرة للإعلان عن ضرورة التمسك بالإلحاد الجديد.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

(٢) سورة الجن، الآية ٢٦.

(٣) الدكتور: عبدالله بن صالح العجيري، مليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد، ص ١٧، مركز تكوين، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م، المملكة العربية السعودية.

(٤) فيكتور جون ستينجر، الله الفرضية الفاشلة كيف يثبت العلم عدم وجود الله، ص ١٦٨، ترجمة الدكتور: كمال طاهر.

لقد قضى هؤلاء على أفكارهم قضاءً لا يقبل الاحتمال، أما لماذا؟ فلأن الذي يضمن صحة الأفكار السليمة هو الله، والذي يضمن بقاءها على وضعها هو الله، فإذا أنكر هؤلاء وجود الله فقد أنكروا كل ما سواه، بل أنكروا ما يتعلق بقوانين الفيزياء والفلك وغيرها، لأنها حينئذ تكون كلها قابلة للانقضاض عليها، يستوي في ذلك الشمس وما سواها.

لكن هذا الفكر معارض بما انتهى إليه "ليبنتز" في كتابه "المونادولوجيا" حيث أكد على فكرتي الصدق، والضمان الإلهي، فصار قوله بمثابة نقد للآراء السالفة، يقول "ليبنتز" (إن المعرفة بالحقائق الضرورية والأبدية هي التي تميزنا عن الحيوانات الخالصة، وبها نحصل على العقل ونتزود بالعلوم، وذلك حين ترفعنا إلى المعرفة بأنفسنا وبالله، وهذا هو ما يسمى فينا بالنفس العاقلة أو العقل)[1]، فهو يعترف بوجود الله، ويقر بالمبادئ الأساسية.

كما أن ديكارت هو الآخر يمكننا أن نستفيد من عبارته في رد هؤلاء الملحدين، بعيداً عما يذكرونه من إلحاد، وبخاصة إذا تبين لنا أن ديكارت يقدم المعطيات الأساسية التي تجعله يعلن الاعتقاد بوجود الإله.

ولا يخفى أن هذا في حد ذاته مدمر للآراء التي ذكرها أصحاب الفلسفة المادية الإلحادية، مخرجٌ إياها عن القبول، وبهذا يرفع عنا حمل مناقشتهم فيها، بل واعتباره من الإلحاديات التي ضرب الله تعالى الأمثال لها في قوله جل شأنه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]، وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ

(١) جوتفريد فيلهلم ليبنتز، المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، ص١٤١، ١٤٢، ترجمة الدكتور: عبد الغفار مكاوي، طبعة دار الثقافة بالقاهرة ١٩٧٨م.

(٢) سورة النحل، الآية ٧٦.

بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى:﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[2].

٤ – العكس الصحيح

ومعناه أن ما ذكره هؤلاء في التحلل من اعتقاد وجود الله (ﷻ)، والاعتقاد في المجهول، يمكن أن نعكسه عليهم، ويصير التمسك بالإله الواحد الأحد والتخلص من المجهول هو الحقيقة الثابتة، يدل عليه أن الكون كله يسير في سنن الله من غير اختلاف أبداً، فالشمس تجري بمستقر لها والقمر كذلك، قال تعالى:﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[3].

قال الإمام الرازي: في الآية إشارة إلى أن كل شيء من الأشياء المذكورة خُلق على وفق الحكمة، (فالشمس لم تكن تصلح لها سرعة الحركة بحيث تدرك القمر، وإلا كان في شهر واحد صيف، وشتاء، فلا تدرك الثمار)[4].

ومن المؤكد أن الشمس ستتوقف عن إرسال أشعتها، ولن يحدث لها خمول أو انكماش إلا إذا أراد الله أن تنتهي الحياة فتكون نهايتها، حيث يريد الله (ﷻ)

(١) سورة النحل، الآية ٩٢.

(٢) سورة فاطر، الآية ٨.

(٣) سورة يس، الآية ٤٠.

(٤) الإمام الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد الثالث عشر، ج٢٥، ص ١٢٦، طبعة دار الغد العربي.

طبقاً لما جاء به النقل الشريف من قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾[1]، إلى غير ذلك مما جاء ذكره، ولا يمكن أن يفهم على غير هذا الوجه، من السنن الإلهية، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[2].

والصحيح الذي يجب التمسك به هو أن نهاية الشمس لا تخضع لمعطيات عقول البشر، وإنما تخضع إلى ما قدره صاحب الجلال والجمال والكمال والإكرام وهو الله (ﷻ).

أضف إلى ما سبق أن الكون في وجوده يخضع إلى ما يمكن تسميته "قوانين الكمبيوتر الكوني"[3]، وهذا معناه أن الكون أرضه وسماؤه، شمسه وقمره، بل كل ما فيه يجري طبقاً للسنن الإلهية التي تُقرر ما يمكن أن يفعله الله (ﷻ)، وليس العكس، بمعنى أنه ليست الطبيعة هي التي تقرر ما يفعله الكمبيوتر الكوني "السنن الإلهية" وإنما لابد أن تنعكس المسألة لتصح النتيجة، ويتم اعتماد المقدمات[4].

---

(١) سورة التكوير، الآيتان (١- ٢).

(٢) سورة الفتح، الآية ٢٣.

(٣) أطلق هذا المصطلح كثيرٌ من علماء الفلك، وعلماء الفيزياء. راجع لبول ديفيز، الاقتراب من الله بحث في أصل الكون وكيف بدأ، ص ١٦٩، ترجمة: منير شريف، مراجعة: عبد الرحمن الشيخ، ط ١، الهيئة العامة لشئون المطابع ٢٠١٠م.

(٤) المقدمات الصحيحة هي التي تستند إلى الله (ﷻ)، وما جاء من عنده وتسترشد بما نتج فإنها تكون صحيحة، أما غيرها فلن يكون سوى وجهة نظر تفتقد الدقة، وتفتقر ما يوصلها إلى درجة الصحة أو اليقين.

٥-كذب المنجمون ولو صدقوا

من المؤكد أن المنجمين هنا هم أصحاب القضايا الاحتمالية في العوالم الإلهية، وهم في ذات الوقت الذين يهدم بعضهم ما بناه غيرهم، بل إن بعضهم استخدم مصطلحات اعتبرها قاعدة أطلق عليها اسم "نظرية كل شيء" وهي فكرة قد تكتمل فيها نقطة الالتقاء من الناحية الدراسية، وتتحد في النهاية مع قوانين الطبيعة المطلوبة(١).

والسؤال الآن هل يمكن أن تؤخذ فكرة اختفاء الأثر الحراري للشمس مأخذ الجد طبقاً لما يردده أصحاب الفكر الإلحادي على نحو ما، أم أن ذلك من قبيل التنجيم، والجواب أن الذي تناول مسألة موت الشمس، وانخفاض مصدرها الحراري قد بلغ به الأمر مبلغ السخرية والسفه، والطعن من قبل مخالفيه الذين اعتبروا المسألة بعيدة عما يجب استخدامه، وأنها اعتمدت على التخمين لأن العينة التي كانت متاحة قد تحولت فيما بعد إلى عينة مستهلكة لا تبلغ درجة اليقين المعرفي، ولا الاحتمال الفيزيائي، وإذا كانت هناك نظرية كل شيء، فعلى المقابل توجد نظرية نهاية كل شيء، وإذا كانت (الشمس قد انزلقت خلف الأفق كعملة معدنية تنسلُ في جيب خلفي، كان من الواجب إدراك أن دوران الأرض يوجه نحو النجوم الناشئة وظلام الفضاء)(٢)، ومن ثم فهي تصورات لحلم نائم.

لا شك أن مصادر الطاقة هي الأخرى أيضاً تخالفهم، وتشهد لغير صالحهم، أما لماذا؟ فلأن مصادر الطاقة تنقسم إلى قسمين أحدهما: المصادر المتجددة، ومنها الطاقة الشمسية، والطاقة الهوائية، والطاقة الكهرومائية، فإذا اختفى

(١) بول ديفيز، الاقتراب من الله بحث في أصل الكون وكيف بدأ، ص ١٨٩.

(٢) كريس إمبي، نهاية كل شيء، ص ٣١٦ بتصرف يسير.

مصدر الحرارة الشمسي فقد بقي مصدران آخران من مصادر الطاقة المتجددة، وأعني بهما مصدر الطاقة الهوائية، والطاقة الناتجة عن المساقط الكهرومائية.

ومن ثم يتم التعويض عند اختفاء مصدر الحرارة الشمسي، ولا تقع نهاية الكون، إذ الاعتماد هذه المرة على مصدرين متجددين لا ينفصلان، فثبت أن ما ذكره الإلحاديون منقوضٌ أوله، بما قرره غيرهم(١).

يمكن القول بأن صدق تلك المقدمات لا يجد ما يعززه، واعتماد هذا السبب ليس مقبولاً، بل إن تطبيق القواعد المعرفية على مثل هذه القضايا ينتهي إلى فسادها، أما لماذا؟ فلما هو مستقرٌ في المعارف العقلية من أن الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره على ناحية صحيحة، وإذا طبقنا هذا على السبب الأول لم يكن مقبولاً على الناحية العلمية والعقلية، فضلاً عن النصوص الدينية التي سلفت الإشارة إليها.

في ذات الوقت (فإذا حدث مُعارض فيزيائي أو فلكي لما هو مذكور على ناحية الإقرار الفيزيائي أو الفلكي تكون المسألة مظنونة والوقوف على المظنون مظنونٌ، والظن لا يعارض القطع)(٢)أبداً، وبالتالي تسقط أوهامهم، وتبقى الحقيقة الأساسية شامخة وهي أن نهاية الكون كبدايته بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

السبب الثاني: اضطراب عنصر الوقود الحراري.

(أ) العرض

١- يعتقد أصحاب الفكر الفلسفي المادي الإلحادي أن نهاية الكون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باضطراب عنصر الوقود الحراري الذي يُمد الكائنات بالطاقة،

---

(١) فرانك كلوز، النهاية، ص ١٠.

(٢) الفخر الرازي، معالم أصول الدين، ص ٢٤، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية، بدون تاريخ.

ويعتقدون أنه لابد أن يكون للطاقة وزن كوزن المادة تماماً[١]، فإذا نقص وزن الطاقة حدث اضطراب لعنصر الوقود المنتشر في الكون، وعلى الجميع أن يعيد حساباته، ويذهب هؤلاء إلى أنه إذا كانت فكرة خلق المادة واختفائها "البداية والنهاية" ليست سوى نتيجة لنظرية النسبية الخاصة التي تضمنها العالم "ديراك" في معادلته بسرعة فائقة، فمن المؤكد أنه إذا تم تسريع جسيم إلى ما يقارب سرعة الضوء، فإن كتلته تزداد باطراد في محاولة منه لتحاشي اختراق جدار الضوء[٢].

٢- إن اضطراب عنصر الوقود الحراري نتيجة التحولات المستمرة من الطاقة إلى المادة يُمثل خروجاً عن القواعد العامة، وأعني بها استمرار الوقود الحراري، وآية ذلك أن العمليات المعاكسة التي تتحول فيها المادة إلى طاقة، ويتم التعامل بها في محطات الطاقة النووية، وتنتشر في الفضاء حيث تجري معها عملية مساوية تحصل في الشمس التي يتحول فيها أربعة ملايين طن من المادة كل ثانية إلى طاقة تنتشر في الفضاء الكوني، وهذا الانتشار هو الذي

(١) المعلوم لدى الفيزيائيين المعاصرين أن المادة الفاعلة تقابلها مادة مضادة، مهمتها ضبط العلاقة بين الإنتاج والاستهلاك، وكان "ديراك" صاحب تلك المعادلة التي اكتشفها عام ١٩٣٢م، وكان "كارل أندرسون" من أكثر القائمين عليها، وهو صاحب الأكثرون المضاد " المعروف اليوم بالبوزترون". بول ديفيس، العوالم الأخرى صورة الكون والوجود والعقل والمادة والزمن في الفيزياء الحديثة، ص ٩٨، ٩٩، ترجمة الدكتور: حاتم النجدي، مكتبة طلاس، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

(٢) هذه النظرية تفسر لدى الفيزيائيين العلاقة بين كتلة الجسيم المتزايدة، وتحويلها عن الطاقة إلى المادة، وبناءً عليه يكون اضطراب عنصر الوقود هو الغاية التي يرتبط بها أمر الموت الحراري. راجع وليم بارتي، الطاقة والمادة في البناء الفيزيائي، ص ٨١، ترجمة عادل فوزي، طبعة بيروت ١٩٩٩م.

يساعد على بقاء الطاقة والوقود لاستمرار الحياة[١]، يقابله الاستنفاذ الذي يؤدي إلى نقص الطاقة، وبالتالي تقع عملية الموت الحراري وينتهي الكون.

٣- أنه إذا كانت المادة شكلاً من أشكال الطاقة[٢]، فلابد أن يكون للطاقة الوزن المساوي للمادة تماماً، والسؤال الآن الذي طرحه الفيزيائيون ماذا يحصل الأربعة ملايين طن من المادة التي تفقدها الشمس كل ثانية من كتلتها[٣]، الجواب أن هذه الملايين الأربعة التي تفقدها الشمس تتحول إلى ضوء، وبالتالي فإن ذلك المقدار يجب أن يزن أربعة ملايين طن[٤].

يمكن القول بأن ما ذهبوا إليه من نقص الوقود الذي ينتهي إلى العدم أمرٌ ليس له ما يعضده بدليل ما أطلق عليه الفيزيائيون اسم المادة الوهمية التي يصعب تماماً التعرف عليها وضبط أحوالها.

---

(١) لقد رتب هؤلاء بقاء الكون على وجود عناصر فلكية أو فيزيائية، فإذا لم توجد أو حصل لها نوع اختلال فإن الكون ينهار مباشرة من غير حاجة إلى إله فاعل حكيم، لا في بدايته، ولا في نهايته، ولا في استمراره.

(٢) هذه المسألة هي التي يعول عليها "أينشتاين" ووقف يدافع عنها من خلال النظرية النسبية الفلسفية، ولكنه لم يستطع أن يقدم الدليل العلمي العملي، ولذا هوجمت نظريته من وجوه كثيرة.

(٣) هذه النظرية تختلف عن المقدمات فما تحصل من الشمس وتحول من المادة إلى طاقة فإنه ينتشر في الفضاء الكوني على صورة من الصور طبقاً للقاعدة المشهورة أن المادة لا تفنى على وجه الإطلاق، وإنما يفنى جزء منها، وبالتالي فاستنفاذ الوقود أو نقصه مسألة لم تحسم من الناحية العلمية، وإنما بقيت على حالها من الاحتمال وليس اليقين.

(٤) هذه المعادلة لا يمكن أن تسلم من وجوه نبه إليها العاملون في هذا المجال، أما لماذا؟ فلأن الشمس تفقد أربعة ملايين طن من المادة، وتتحول هذه الأربعة ملايين إلى ضوء الشمس، إذاً فمن هو المفقود ومن هو المتجدد، هذه مما يصعب عليهم تقديم إجابة بشأنها.

بل يعتقد "بول ديفيس": (إن ضجيج أشباح العالم الوهمي ليس مجرد خيال من شطحات النظريين، بل يمكن لغليانها أن ينتج أثاراً محسوسة حتى ضمن الأجسام المادية المألوفة)[1]، وبناءً عليه فإن اعتقادهم نهاية الكون وارتباطها باضطراب عنصر الوقود الحراري غير مدعومة بأدلة علمية.

(ب) المناقشة

يعتبر الحديث عن اضطراب عنصر الوقود الحراري الممسك لوجود الكون من المسائل التي عني بها أصحاب الفلسفة المادية الحديثة، وقد خرجوا على كل ما هو واردٌ عن الله (ﷻ)، وتمسكوا بما اعتبروه قضايا يقينية، وبنوا آراءهم عليها منكرين وجود الله (ﷻ) زاعمين أن ما يذكرونه من الإلحاد يجب أن تكون له السيادة، ولا يجب أن يقترب أحدٌ منه بنقد مهما كانت صورته، وإلا كان طعناً في أصول العلم التجريبي، والمواد التي يقوم فيها[2].

لقد وقع هؤلاء في مسألة غاية الأهمية، وهي أن ما ذكروه مجرد دعوى يرسلها أصحابها دون ذكر دليل يقيني يعضدها، لأن كل فكرة تأتي مجردة

---

(١) بول ديفيس، العوالم الأخرى "صورة الكون والوجود والعقل والمادة والزمن في الفيزياء الحديثة"، ص١٠٠.

(٢) هذا الجانب يؤكد عليه أصحاب الفكر المادي الحديث في كل مؤلفاتهم معتقدين أن التراث الديني الإسلامي القائم في المصدر الإسلامي" القرآن والسنة" يجب أن يتحول من حقيقة علمية دينية إلى مسألة تاريخية يمكن التنازل عنها. راجع الدكتور: إبراهيم بن عمر السكران، التأويل الحداثي للتراث، التقنيات والاستمدادات، ص ٢١٥، طبعة دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، فهرسة مكتبة الملك فهد للتراث، وراجع للدكتور: منقذ بن محمود السقار، تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، ص ٢٣، ص١٢٩، رابطة العالم الإسلامي، بدون تاريخ، وراجع للدكتور: قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، ص ٤١٦، المملكة المغربية الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

(فلابد لصاحبها أن يثبتها بالدليل وإلا كانت ساقطة لا قيمة لها ولا اعتبار)[١]، وسوف أناقش هذا السبب من الجوانب الآتية:

لقد اعتمد هؤلاء على أن الكون يدور من خلال وقود حراري ناشئ عن الانفجار العظيم، وهو محل بدايته، فإذا انتهى شأنهم إلى هذا انتقلوا إلى جانب آخر من غير أن يعيروا السبب الأساسي وهو الله (ﷻ) أمراً ما فهو الذي يبعد تماماً عن مستوى الوجود، بل هم يتلاشون التعرض له، ولا يخفى أن الوجه الأول للمناقشة هو:

١- تجاهل المصدر الصحيح للطاقة

ومعناه أن هؤلاء الإلحاديين يتجاهلون المصادر الصحيحة التي ذكرها الفلكيون والفيزيائيون للطاقة واعتدوا عليها بكل ألوان الاعتداء، والمعروف أن مصادر الطاقة في الكون تنقسم إلى قسمين من الناحية النظرية:

القسم الأول: (مصادر الطاقة المتجددة وهي التي لا تنفذ ما دامت الحياة مستمرة على سطح الأرض، ومنها الطاقة الشمسية، والطاقة الهوائية "طاقة الرياح"، والطاقة الكهرومائية الناتجة عن المساقط المائية)[٢].

القسم الثاني: مصادر الطاقة الغير متجددة، وهي التي (توجد بكميات محدودة، ويقع لها التناقص في حجمها بسبب استمرار استهلاكها كالنفط، والفحم، والغاز الطبيعي، وكلها أوجدها الله (ﷻ) وخلقها، ولا يمكن أن تستنفذ، وينتهي أمرها إلا إذا أراد الله لها ذلك)[٣]، قال تعالى:

---

(١) الدكتور: أحمد بن يوسف السيد، أصول الخطأ في الشبهات المثارة ضد الإسلام وثوابته، ص ١٦.

(٢) ستيفن هوكنغ، الكون في قشرة جوز" شكل جديد للكون"، ص ٣٢.

(٣) فرانك كلوز، النهاية، ص ٩٥، راجع ستيفن هوكنغ، الكون في قشرة جوز، ص ٣١.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1].

ثم إن فكرة نقص الوقود الحراري إذا صحت لدى أصحابها فقد سقطت في نظر غيرهم اعتقاداً من الطرفين بأن المسألة قابلة للأخذ والرد، فإذا انتهينا إلى مسألة المادة والطاقة المظلمتين تبين أن (المادة المظلمة توجد في المجرات والحشود العنقودية، كما يحتمل أن توجد بينها ولا يمكن ملاحظتها مباشرةً إنما يمكن الكشف عن مجالها الجذبوي، ويبلغ مقدارها ما يصل إلى ٩٠% من مادة الكون)[2]، أما الطاقة المظلمة فهي التي تشكلت جزئياتها من مادة مظلمة أولاً، ثم تكونت بُنى أكبر حجماً نتيجة اندماج البُنى الأصغر لتشكل هيكلاً هرمياً يمتد من الأسفل إلى الأعلى[3].

فإذا نظرنا إلى فكرتي المادة والطاقة المظلمتين، تبين أن هناك قوة تعمل عمل الجاذبية أو الغازات التي بدأت في السيطرة على سلوك الكون، بحيث يمكن القول بأن الكون تعمل فيه قوة تؤجل تمدده، وأخرى تزيد من سرعته، وهذا من شأنه استمرار الوقود الحراري لأن ذلك هو القدر الذي يمكن قَبوله[4]، من الناحية الفيزيائية.

---

(١) سورة الحجر، الآية ٢١.

(٢) ستيفن هوكنغ، الكون في قشرة جوز، ص ١٨٣.

(٣) كريس إمبي، نهاية كل شيء، ص ٢٨٤.

(٤) من المؤكد أن هذا التصور فيه غرابة شديدة لأن الطرفين يعملان في اتجاهين مختلفين يقومان في كرة دائرية بحيث يظل الكون متمدداً من طرف، مسرعاً إلى طرف آخر بحيث يشبه خيطاً "أستك" مطاطاً بين حصانين أحدهما يسير به نحو المبتدا لكنه ضعيف نوعاً ما فيعمل على تمدد الكون ببطء، والطرف الآخر يتمثل فيه حصان أقوى فيسرع به نحو التمدد الذي يمثل النهاية.

وبناءً عليه تكون فكرة نقص الوقود الحراري لا محل لها من الإعراب، وقد نبه إلى ذلك "كارل ساغان" حيث يقول: (الأرض تجذبنا بقوة هي قوة جاذبيتها، الأمر الذي يجعل حركتنا تسارع إذا كنا في مرحلة السقوط[١]، وإذا ما سقطنا من شجرة فإن سرعة سقوطنا سوف تزداد أكثر فأكثر بمعدل عشر أمتار في الثانية)[٢]، بناءً على قوانين الجاذبية.

من المؤكد أن نقص الوقود الحراري لا يقدم جديداً في المسألة لأن الحياة تسير على منوال واحد، حين تنطلق للخلف وتنطلق للأمام، وهذا الانطلاق لا يقف عند الوقود الحراري، وإنما يتعلق بجاذبية الأرض للأشياء، وكل جاذبية لابد أنها تعمل في نطاقها من خلال الصورة التي خلقها الله تعالى عليها، المشار إليها بقوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[٣].

قال الإمام الفخر الرازي: إن قوله تعالى: "**كل في فلك يسبحون**" (تفيد أن جميع ما ذُكر لا يسبق بعضها، وإنما كل واحد منها له حركة في فلكه الذي يخصه لا يخرج عنها ولا ينتقل إلى غيرها)[٤]، ومحل الشاهد أن الله تعالى خلق كل ما ذُكر متميزاً بحركة متناسبة معه، قد وهبها الله له، ولا يمكن لغيره أن

---

(١) يريد ضرب المثل التوضيحي بتمرة من شجرة فإنها تسقط بسرعة نظراً لجاذبية الأرض لها.

(٢) كارل ساغان، الكون، ص ١٦٤،١٦٥، ترجمة: نافع أيوب لبس، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، صدرت السلسلة ١٩٧٨م.

(٣) سورة يس، الآية ٤٠.

(٤) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد الثالث عشر، ج٢٥، ص ١٢٩، طبعة دار الغد العربي.

يقوم بها، واعتبار كل مخلوق دائراً في الفلك الذي خُلق له من القضايا المهمة التي ترتبط بها حياة الناس، وقد أنعم علينا جميعاً بها رب الناس.

لقد زعم أهل الهيئة في الماضي مزاعم ربما هي التي نقلت إلى الفلسفة المادية الحديثة حين أنكر سابقوهم حركة الكواكب على النحو الذي أرشدت إليه النصوص النقلية، وزعموا أنه لا تجوز الحركة على ناحية السبح في الفلك المحدد، وعللوا ذلك بأن الكوكب له جُرمٌ[1]، فإذا شق السماء وتحرك، فإما أن يكون موضع دورانه ينشق ويلتئم، كالماء يحركه سمكة، أو لا ينشق ولا يلتئم بل هناك خلاء تدور الكواكب فيه، لكن الخلاء محال، والسماء لا تقبل الشق والالتئام.[2]

ثم رد عليهم الرازي قولهم مؤكداً أن: (كلاهما جائز ثم بين وجه الجواز بقوله أما الخلاء فلا يحتاج إليه هنا، لأن قوله تعالى: "يَسۡبَحُونَ" يفهم منه أنه بشق والتئام[3]، ثم قال الفخر إما امتناع الشق والالتئام فلا دليل لهم عليه وشبهتهم في المحدد للجهات وهي هناك ضعيفة)[4].

---

(١) الجُرم هو الجسد وجمعه أجرام، معجم اللغة العربية، حرف الجيم، ص ١٠٢، طبعة مجمع اللغة العربية ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

(٢) هذه الشبهة عرضها الفخر الرازي كما ذكرها أصحابها ونعم ما فعل.

(٣) هذا من الرازي قائم على عكس دليلهم، وهو من المسائل المهمة في أدب البحث والمناظرة، من حيث إن قلب الدليل وعكسه يقومان في صالح الناقض لدليل المخالف. راجع للشيخ عبد الرشيد الجونغوري، شرح الرشيدية على الرسالة الشريفية في آداب البحث والمناظرة، ص ٦٤، حيث ذكر أن الدليل ينقض بأحد الوجهين من التخلف ولوزم المحال بأن يقول السائل هذا الدليل غير صحيح لتخلفه عن المدلول في تلك الصورة، وربما عارضه بأحد الوجوه الثلاثة، وهي المعارضة بالقلب أو المثل أو الغير، ص ٦٤، طبعة الحلبي، ١٣٦٠هـ، ١٩٤١م، الطبعة الأخيرة.

(٤) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد الثالث عشر، ج٢٥، ص ١٣٣.

أخلص مما سلف إلى أن فكرة نقص الوقود الحراري الذي على أساسها تجيء نهاية الكون كما زعم هؤلاء تعتبر منقوضة من وجهة نظرنا، ولا تقوم على دليل علمي يمكن التمسك به.

٢- سقوط الاحتمالات

ومعناه أن ما ذُكر في الاحتمال لا يؤدي إلى الوصول لجهة اليقين، وبالتالي فنقص الوقود الحراري يُعتبر فكرة احتمالية، وإلا فهل أمكن تجربتها، والإسراع في استهلاك عمليات الوقود حتى تنضب ونرى النهاية واقعة، أم أن هذا مجرد احتمال غير مقبول، والجواب أنه احتمال سار عليه أصحاب الفكر المادي، وزعموا أن المعطيات التجريبية(١)، تؤدي إلى إمكانية تصور جديد للكون، باعتبار أن الكون يتوسع توسعاً منتظماً أو متماثل المناحي، وفي أثناء هذا التوسع تزداد أطوال موجات الأشعة الضوئية متناسباً مع المسافة بين المجرات، وهذا التوسع ببساطة شديدة هو سرعة انفلات وهروب، اكتسبتها الأجرام عند حدوث انفجار سابق(٢).

لقد سقطت فكرتهم حول نقص الوقود الحراري طبقاً لما ذكر، بل يعترف هؤلاء أنفسهم ما يخالف الذي ذكروه من ناحية النقص للوقود، وقد ثبت لديهم

---

(١) المراد بالمعطيات التجريبية ما أمكنهم العمل معه وتجربته، ومن المؤكد أن ذلك لن يكون في الفلكيات إذ يصعب جداً إدخالها إلى حيز التجربة، وكذلك ما يتعلق بالفضاء الخارجي، كما أن فكرة الوقود الحراري مسألة فيزيائية، وبناءً عليه لم يقع لها تجربة كاملة على جهة اليقين بقدر ما وقع لها تصور ذهني احتمالي يقبل الصواب والخطأ، بدليل توسعهم في المدد البينية من ملايين إلى بلايين.

(٢) ستيفن هوكنغ، الدقائق الثلاثة الأولى من عمر الكون، ص ٥٤، ترجمة: محمد وائل الأساسي، الدار المتحدة للطباعة والنشر دمشق ١٩٨٦م.

أن القول بالانكماش الكبير ينتهي إلى القول بأن للكون نهايـــة، وهـــذا ينـــاقض فكرتهم القائمة على أن الكون قديم[١].

أجل لقد أعانني الله تعالى على مراجعة ما ذكروه، وجاءت النتيجـــة معبـــرة عما بداخلي من يقين مطلق في أن الله تعالى هو الفاعل لكل شيء، وهذا في حد ذاته كاف لمطاردة قضايا الإلحاد، وإثبات وجود الله تعالى على كافة النـــواحي الشرعية.

لقد تأكد للبحث أن أصحاب الفكر المادي الحديث، قـــد اعتقـــدوا أن الكـــون سينتهي أمره حتماً، وذكرت أن هذه النتيجة ليست لصالحهم فهم يقـــررون قـــدم العالم وأزلية المادة، ثم هم هنا يعترفون بنهاية العالم، فتبين لي أنهم يتناقـــضون مع أنفسهم ولابد لهم من الاعتراف بأحد أمرين، إما قدم العالم، وبالتالي كل مـــا يتحدثون عن نهايته يعتبر نوعاً من التجديف والهرطقة[٢] أو يجمعون علـــى أن هذا الكون له نهاية، وبالتالي يكون حادثاً فتنتهي قضيتهم، وثبتت القضية التـــي نؤكدها نحن، وهي أنه لا قديم إلا الله، وما ثبت قدمه استحال عدمه.

---

(١) إذا سلموا بأن نهاية العالم خاضعة لاضطراب عنصر الوقود الحراري، فقد أقـــروا بـــأن العالم حادث وليس قديما، أما إذا سلموا بأن الوقود ممتدٌ حتى تَسلم لهم مسألة أن العـــالم قديم فقد سقطوا من عليائهم التي اعتمدوا عليها، وأعني بها القوانين الفيزيائية والجوانب الفلكية.

(٢) قضيتهم الأصلية أن العالم قديم، ويبدو أنه إله مع الإله، وبخاصة أن ما يقـــرره ســـلفهم الفاسد هو أن العالم قديم، والمبدأ الأول قديم، والمادة الأولى قديمـــة، والزمـــان قـــديم، وحينئذ يتعدد القدماء.

السبب الثالث: استهلاك المخزون للطاقة الكونية.

(أ) العرض

يعتقد هؤلاء أن الطاقة القائمة في الكون يتم استهلاكها على مدى زمن طويل، وأن هذا الزمان قد مر منه الكثير، وبالتالي فما بقي إلا القليل، فإذا استهلك الكون طاقته كلها انتهى أمره ولم يعد له بقاء، ويمثلون ذلك بالبنزين الموجود في خزان السيارة، كلما أخذت السيارة منه رصيداً قل الموجود فيه حتى إذا استنفذته كله لم تتمكن من السير، وإنما توقفت حركتها تماماً، وبناءً عليه يعتقدون أن نهاية الكون لابد أن تكون عن طريق استهلاك المخزون من الطاقة متخذين من ذلك ذريعة لإنكار الخالق العظيم جل علاه.

لقد فهم هؤلاء إن الكون نشأ نتيجة الانفجار العظيم لا من خلال قدرة الإله العظيم، وبناءً عليه سمحت لهم خيالاتهم التحلل من اعتقاد وجود الإله العظيم، والتصديق بما عاشوا فيه من الوهم والفرضيات الخيالية، لقد فهموا أن الكون كيان مغلق، وأنه ماديٌ بحت، وأن روحه هي طاقته التي يستهلكها، وتصل به إلى أن يبلغ مرحلة التموت الحراري، فإذا استهلك طاقته انتهى أمره من غير حاجة إلى إله فاعل(١).

لقد حكى "بول دافيز" ما سار إليه الآخرون، ثم كرَ عليه بما رأى بطلانه وعدم استقامته، وهو أمرٌ سار عليه في دراسته بحيث يرد شبهاتهم إلى وجوههم من غير أن يكلفنا نحن القيام بهذا الدور(٢).

من المؤكد أن فكرة استنفاذ طاقة الكون إنما هي مسألة متكررة في كتابات هؤلاء، ومن الظواهر عليه ما ذهب إليه "كريس إمبي" من القول بأن الكون هو

---

(١) راجع لبول دافيز، الله والفيزياء الحديثة، ص ٢٢،٢٣.

(٢) وهكذا نستطيع القول بالنظرية الشرعية، وشهد شاهدٌ من أهلها على بطلان ما يزعمونه أو يتوجهون به للضغط على عقيدتنا الدينية.

(كل ما هو موجود بما في ذلك المكان والزمان، والمادة، والطاقة والقوانين الفيزيائية التي تحكم سلوك كل هذه العناصر)[١].

وغايته من ذلك إثبات أن كل ما في الكون من طاقة يتم استنفاذها، وآيةُ ذلك أن الكون يتحول من الحرارة عديمة الملامح التي لا يمكن لباحث فيزيائي تصورها إلى التعقيد[٢]، وإذا كانت طاقة الكون تستنفذ فما الدليل على ذلك، يقرر الفيزيائيون (أن الكون يتحول من الحرارة عديمة الملامح وبعد مرور ما يكفي من الوقت ستحول تلك الحرارة إلى البرودة عديمة الملامح لا يمكن تخيلها)[٣]، ومن المؤكد أن استنفاذ طاقة الكون معناها خروجه في كافة جزئياته على القاعدة العامة، حتى يمكن أن يقال حينها يومٌ بلا أمس[٤]، من حيث أن الأمس منعدم.

ومن ثم فإن اعتقاد هؤلاء بأن استنفاذ الطاقة ليس عن طريق إله له كافة صفات الجلال والكمال، وإنما عن طريق غير معلوم الهوية، كل ما يمكن

---

(١) كريس إمبي، نهاية كل شيء، ص ٢٧٢.

(٢) فكرة التعقيد معناها أنها لا تقبل الدراسة العلمية من حيث إنها مسألة قضي فيها الأمر، وتدخل في نطاق ما يسمونه المستحيل العلمي، أو المعرفي. الدكتور: إدوارد مقار، الفيزياء ونهاية الكون، ص ١٣٥،١٣٦، ترجمة الدكتورة: نادية حسن، طبعة دمشق ١٩٩٥م.

(٣) كريس إمبي، نهاية كل شيء، ص ٢٧٢.

(٤) فكرة يوم بلا أمس معناها أن الحالة الأولية للكون تتسم بكثافة ودرجة حرارة لا نهائية إذا كان للكون نقطة يجتمع فيها الزمكان "الزمان والمكان" شديد الانحناء ذات كتلة وطاقة مضغوطين حينئذ لا يبقى شيء من التوهج بل من الانكسار، وبذا تأتي تلك النظرية ممثلة نهاية الكون حتى تكون في مواجهة أخرى التي تتناول نشأته. راجع جورج فيوشر، الفيزياء ونهاية الكون دراسة تأصيلية، ص ٢٢٢، ٢٢٣، ترجمة الدكتورة: راجية حسن طه، طبعة بيروت ٢٠١٥م.

الاعتماد عليه هو الإطار الذي تدور فيه مسألة استنفاذ طاقة الكون بحيث ينتهي إلى الصفر.

أضف إلى ما سبق أن الكون في نشأته أخذ في التوسع ثم جاء دور نهايته ليأخذ في الانكماش، ومن ثم يحتاج الانكماش إلى استنفاذ طاقة الكون التي تدعوه إلى التمدد لا إلى الانكماش.

يقرر "**بول دافيز**" **أن** الكون قد توقف توسعه لكن حركته لا يمكن أن تتوقف، وبالتالي يبدأ في الانكماش الذي هو حركة انعكاس الزمن، ويكون هذا الانكماش بطيئاً أول أمره لكن خطاه تأخذ في التسارع حينئذ تشغل هذه المرة عدسات الليل وتتوهج الشمس أكبر، ويتحول الإنسان إلى أعمى استعداد لكارثة بشعة(١).

لا يخفى أن فكرة انكماش الكون تمثل عاملاً مهماً في استنفاذ طاقته، أما لماذا؟ فلأنه في عملية الانكماش ترتفع درجة الحرارة تحت تأثير الضغط إلى نقطة غليان الماء، ثم تصبح الأرض في حال نجت من مخاض موت الشمس، غير قابلة للسكن، ولن يتمكن المراقب عندها من تبين المجرات كل على حده لأنها تكون قد بدأت في الاندماج معاً، ويحصل انعدام الفضاء، وكلما ازدادت وتيرة الانكماش سيرتفع درجة الحرارة تبدأ معها السماء في التوهج مثل الموقد، وتأخذ النجوم في الغليان ثم تنفجر(٢).

من الممكن القول بأن نظرية الانكماش العظيم مؤداها أن الكون عندما تتسارع أحداثه تتبخر كافة البُنى، وتتشتت الذرات، وفي غضون بضعة مئات

---

(١) بول دافيز، الله والفيزياء الحديثة، ص ٢٤٠.

(٢) تعتبر نظرية الانكماش العظيم من النظريات المماثلة للانفجار العظيم، وإذا كانت الثانية أقيمت لتفسير نشأة الكون، فإن نظرية الانكماش العظيم هي التي فسر بها أمر نهاية الكون، فلما جمعنا النظريتين وجدناهما تتحدثان عن الكون بداية ونهاية من غير حاجة إلى إله خالق.

آلاف السنين[١]، حينئذ تتحطم كل نواه إلى شظايا صغيرة في درجات حرارة متصاعدة، ويصبح نطاق زمن الأحداث مسعوراً فالكون آخذ في الانكماش في دقائق ثم ثوان ثم في أقل من ثانية جزءٌ من مليون من الثانية فيما تحولت الجاذبية المتراكمة الانكماش إلى انتحار غير مضبط، وهو الانكماش العظيم[٢].

وإذا كان الفيزيائيون قد ربطوا نظرية نهاية الكون بمسائل دراسية يمكن تطبيقها أو إصدار آراء بنشأتها إلا أن المسألة تختلف فيما تتعلق بنظرية الانكماش الكبير لتكون في مواجهة الانفجار الكبير[٣].

غير خاف أن فكرة استنفاذ الطاقة الكونية، وإن تكن قد طرحت في إطار فلسفي إلا أنها قد خلت من الجوانب التي يمكن مقابلتها على ناحية صحيحة، أما لماذا؟ فالاعتبارات قد تتباعد فيما بينها وقد تتلاقى، والقاعدة المشتركة هي البحث على ناحية إيجابية وسلبية فيما يتعلق بنهاية الكون، وقد بين القرآن الكريم أن هذه النهاية بكيفيتها لا يعلمها أحدٌ سوى الله (ﷻ)، قال جل شأنه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾[٤]، وقال جل شأنه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥].

---

(١) هذا الرقم يعبر عن فكرة الاحتمال البعيدة تماماً عن القواعد العلمية من حيث أن تلك الفترة الطويلة يصعب على أي عقل تخيلها فما بال القائلين بها.

(٢) بول دافيز، الله والفيزياء الحديثة، ص ٢٤٢.

(٣) يلاحظ أن نظرية الانفجار العظيم قد ترتب عليها نشأة وجود الكون بينما نظرية انكماش الكون ارتبط بها أمر نهاية الكون.

(٤) سورة النازعات، الآية ٤٢.

(٥) سورة الأعراف، الآية ١٨٧.

لقد أفاد الأستاذ عباس العقاد مما نقله عن أبي العلاء المعري من قوله:

ظلموا الرعية واستباحوا كيدها ** وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

وهكذا يرجعون إلى الوراء باسم التقدم والارتقاء، وهم في ذات الوقت لا يعرفون تقدماً، ولا يسمعون عن ارتقاءً[1]، ولا أغالي إذا قلت إن ما سلكه هؤلاء يمكن بيان فساده في وقت قصير جداً، وبعبارة تحمل بين جَنباتها السهولة واليسر، بدليل أنه يمكن تكرارها على أيدي الكثيرين.

من المؤكد أن عملية الضغط على الآخر في النظام الشيوعي (الذي لم يتحقق حتى الآن إلا في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية التي تؤلف الملكية الاجتماعية لوسائل الإنتاج أساس علاقات الإنتاج، وقد حملوا على أنفسهم مسألة تطبيق قاعدة منتزعة من أصولها قائمة على أنه لم يبق لا مستثمرين ولا غير، وتوزع المنتجات حسب العمل الذي يقدمه كل إنسان ما تبعاً للمبدأ القائل "من لا يعمل لا يأكل")[2]، ولا يخفى أن مسألة استنفاذ الطاقة راجعة إلى الله (ﷻ)، وهو الذي نعول عليه ونسعى إليه.

أخلص مما سلف إلى أن الفلسفة المادية الحديثة في شكلها الإلحادي اعتبرت الموت الحراري أحد الأسباب التي يترتب عليها انهدام الكون، مع أن ما ذكروه يتعدد فيما بينهم، وإذا كنت قد وقفت على ما ذكرت فإنما ذلك بقصد ألا يطول البحث ولا تتمدد صفحاته، وبخاصة أنني سأناقشهم فيما ذكرت من مسائل.

---

(١) الأستاذ عباس محمود العقاد، أفيون الشعوب، ص ٥٢،٥٣، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة طبعة ٢٠١٢م.

(٢) الدكتور: فتح الرحمن أحمد محمد الجعلي، الإيمان بالله والجدل الشيوعي، ص ٥٩،٦٠، راجع للدكتور: أسامة على أحمد الخضر، سقوط الإلحاد في ضوء العلوم الحديثة: دراسة موجزة عن العلوم الحديثة التي هدمت معاقل الفكر المادي الإلحادي، ص ٢٠٧، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

(ب) المناقشة

يعتقد أصحاب الفكر المادي أن كمية الطاقة القائمة في الكون لابد أن تأخذ في الانهيار، وتستمر كذلك حتى ينتهي أمر الكون، مؤكدين على جملة من المبادئ، وقد سلف ذكرها عند العرض، غير أني هنا أركز على ذكر الجديد المتعلق بالمناقشة.

١- الاعتماد على الاحتمال.

ومعناه أن كل ما ذكروه ونقلته عنهم، فيما يتعلق بطاقة الكون ليس حقيقة علمية، وإنما هو اتجاه نظريٌ لا يمكن أن يعتمد على قانون علمي يفيد اليقين بقدر ما يعتمد على قضايا احتمالية، ومن الشواهد عليه ما ذكره "هابر بنرج" بقوله: (لا نستطيع أن نتأكد من مواقع الجسيمات، ولا من سرعتها على وجه يقيني، كل ما نعرفه أنها طريقة لمعرفة الآخر وليس حقيقة المبدأ الثابت)[١]، وما دام أمر هذه الجسيمات غير مقدور عليه بحيث يؤدي إلى حقيقة علمية، فمن المؤكد أن جميع ما ذكروه إنما هو نوعٌ من الاحتمال الذي لا يشهد له صحيح تجربة، ولا يقف معه يقين يمكن الاعتماد عليه.

يقول "بول دافيز": (لقد تابعنا القانون الثاني للديناميكا الحرارية، ورأيناه يؤدي عمله في المألوف لدينا لكن من المؤكد أننا لا نستطيع القول بأن الأرض ستبقى إلى الأبد، وإنما سوف يبرد قلبها ونعود مرة ثانية إلى تسجيل تاريخ عمر الأرض، وما ذلك إلا لأن طاقة الكون ستكون قد تلاشت)[٢].

وإذا كان الفيزيائيون قد عجزوا عن الوصول إلى اليقين في أبحاثهم التي تتناول طاقة الكون بدقة، وكلما أثبتوا شيئاً عادوا إليه فنقضوه، ألا يدل ذلك على

---

(١) ستيفن هوكنغ، الكون في قشرة جوز، ص ٣٢.

(٢) بول دافيز، الله والفيزياء الحديثة، ص ٤٤.

أنهم لا يعيشون مرحلة القوانين العلمية بقدر ما يعيشون فكرة الخيال العلمي، ومن المؤكد أن ذلك أمرٌ عجيب وفيه من الغرابة ما فيه.

أضف إلى ما سبق أن كل ما ذكر عن الفلكيات والقوانين والنظريات التي تجيء معها، إنما هو بَحثٌ في أجزاء كونية لا تخضع للتجربة، وهم يعتقدون أن ما لا يخضع للتجربة لا يمكن حسبانه يقيناً، وبناءً عليه فالنظريات التي يعتمدون عليها تكون أقل مقدرة في إثبات وجودها، وهم يقررون أن (من عادة النظريات أن تحوي عوامل حرة يحتاج تعيينها إلى التجربة، وبتطويرات لاحقة يمكن للنظرية أن تعطي قيمَ هذه العوامل)[1].

من غير شك أن ما لا يقوم على اليقين فإنه يفتقد اليقين، وما يقوم على الاحتمالات فلابد أن تكون الغاية منه الوقوف على ذات الاحتمالات، وقد اعتقد هؤلاء (أن نظرية الاحتمالات تقوم على البدائل المتساوية، ثم تجيء عملية الفروض المتتالية لتحسم صحة الفروض، أو تنتهي إلى عدم صحتها)[2].

وما دامت الفرضيات التي يقومون عليها تفتقد اليقين، فمن المؤكد أن تكون آراؤهم حول الموت الحراري مجرد خيال لا يمت إلى الحقيقة بشيء أصلاً، ألا ترى أن القول باستنفاذ طاقة الوقود والانتهاء إلى زوال العالم يناقض المبدأ الأساسي الذي تقوم عليه الفلسفة المادية الحديثة وهو القول بقدم المادة وأزليتها، وهل يمكن أن نسمع غداً أو بعد غداً عن إعلان يؤكد أن الفلسفة المادية قد

---

(١) راجع لبول ديفيس، وجوليان براون، الأوتار الفائقة نظرية كل شيء، ص١٣، ترجمة الدكتور: أدهم السمان، طبعة دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

(٢) الدكتورة: هيفاء محمد عيد الزبيدي، الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعي، ص ٢٣، كلية التربية بغداد، قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية طبعة ١٩٩٨م.

تنازلت طوعاً أو كرهاً لتقدم إعلاناً جديداً بأن المادة ليست قديمة، ولا أزلية وأن حكاياتهم التي تحدثت عن قدمها كانت حلم نائم أو خرافات كهول، أم أن المسألة تقوم على الجدل من غير رجوع إلى قاعدة شرعية أو علمية.

٢- الجدل الديالكتيكي

ومعناه أن هؤلاء قد أضحت عملية الوصول للحقيقة عندهم نوعاً من الخرافة، ولأنهم يفتقدون اليقين فقد استعاضوا عنه بالجدل الذي لا يقوم إلا على الجدل، وعرف باسم الجدل الديالكتيكي(١).

أجل لقد زعم هؤلاء أن المادة قديمة، وقد اتفق على القول بها كل الملاحدة في القديم والحديث والمعاصر يستوي في ذلك أصحاب التطور الطبيعي الكوني، وأصحاب التطور الطبيعي الحيوي، وأصحاب التطور التاريخي المادي ومنه الماركسية، والعلمانية، وأهل الخلاعة، والطبيعيون، وما دامت المادة في نظرهم قديمة ثم حكموا بأزليتها وقرروا التولد التلقائي، وبناءً عليه نجد كل ما تناولوه يدور في هذا الجانب من الجدل الديالكتيكي(٢).

وإذا كانت المادة تجيء فيها تحولات ذاتية داخل أنظمتها وتكون في بدايات عادية ونهايات متوقعة ورتبوا على ذلك العبارة القائلة" الكون ليس له بداية ولا

(١) استخدم هذا النوع من الجدل في مواضع كثيرة من حضارات العالم، وكانت الغاية منه الطعن على الثوابت والقفز فوق الحقائق تحت مسميات وهمية يمكن وصف القائلين بها بأنهم خرجوا على مقتضيات العقل وخرجوا عن الحكمة إلى غيرها. راجع للدكتور: على محمد العدل، الاتجاهات الحديثة في الفلسفة وكيفية التعامل معها، ص ١٢١،١٢٢، طبعة بيروت الرابعة ٢٠١٧م.

(٢) سيركن، وياخوت، اسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، ص ٣٨، ترجمة الاستاذ: محمد الجندي ١٩٦٧م.

نهاية ولا حدود، والعالم ابتدأ وسيستمر[١]، وإذا كان العالم قد ابتدأ وسيستمر فمن المؤكد أنه ليس له بداية ولن تكون له نهاية[٢] حسب تصوراتهم.

لقد بدأ هذا الجدل الديالكتيكي مقدراً بإفساد فكرة استنفاذ طاقة الكون، بل من الصواب القول أن طاقة الكون ستبقى في تحولاتها على سبيل الجدل الديالكتيكي أيضاً، وحينئذ لا تكون للعالم نهاية كما لا يقع للطاقة استنفاذ كامل، سواءً أكان الطريق الذي رسموه وعولوا عليه قد تواصلوا معه، أو أنه تخلى عنهم وتركهم، والمتخلي عن متروك عفافاً عنه لا يمكنه الرجوع إليه[٣].

لقد علمنا أن الجدل الديالكتيكي فيه إهانة للعقل الذي أودعه الله في الإنسان وأنبنت عليه مشكلات تمددت في البحث العلمي مع أنها ليست جزءً منه، وقد نبه إلى ذلك" كوفان زون" (حيث يقرر أن العالم الطبيعي توجد له صلات بين الطبيعة وظواهرها، لكنه في تطوره الطبيعي يرفض فكرة الإيمان بوجود الإله البعيد عن الطبيعة، والإله المتمدد في الطبيعة، والعلم يتفق مع المادية في بحثها عن الحقيقة، ويتفق معها في البحث عن الطبيعة حتى يستطيع أن يفسر الظواهر الطبيعية معتمداً على القوانين الطبيعية ذاتها[٤].

---

(١) لاحظ عبارة العالم ابتدأ وسيستمر تجد أن صدرها فيه إعلانٌ عن أن العالم لم يكن موجوداً ثم وجد، وبالتالي فما له أول على سبيل اليقين له نهاية على ذات اليقين، ويستحيل أن تكون له بداية ولا تكون له نهاية.

(٢) سيركن، وياخوت، أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، ص ٣٩.

(٣) الحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنى وجدها، لا يبالي من أين جاءت، وهؤلاء قد افتقدوا الحكمة، وبالتالي عاشوا في وهم واستحالت حياتهم إلى ما لا تحمد عقباه.

(٤) ف. كيللي، م. كوفالزون، المادية التاريخية، ص ٥٥، طبعة بيروت ١٩٩٣م، ترجمة: هادي عبدالله.

وبناءً عليه أستطيع القول بأن فكرة استنفاذ طاقة الكون قامت في الفلسفة المادية الحديثة على الجدل الديالكتيكي، ولم تقم على قاعدة علمية يمكن الاحتكام إليها، غير أني إذا انتهيت إلى ضرورة إعادة القراءة لما سلف فلا يبعد مني القول بأن النصوص الدينية قد دلت على أمرين:

الأول: ثبات السنن الإلهية واطرادها، وعليها تستمر مصالح الكون حتى يأذن الله بانتهائه فذلك عن الحكمة الإلهية.

الثاني: السنن الإلهية الاستثنائية وعلى بابها تجيء خوارق العادات التي لا تتناقض مع القول بأن حقائق الأشياء ثابتة لأن ثابتها هي السنن الإلهية الثابتة، والمتغير فيها السنن الإلهية الاستثنائية، وكلٌ منهما له قاعدة يقوم فيها ومستند شرعي يتم التماسه بشأنها قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1].

لقد نبه الفخر الرازي إلى جوانب عديدة في فهم تلك الآية الكريمة حيث ذكر أن المراد بها هو كل الأسباب المرتبطة بالأرزاق والمعايش لبني آدم، وغيرهم من الطيور والوحوش، وكل ذلك قائم في أمره تعالى وحكمته وتدبيره، وهو يبقى على حد الكفاية بدليل قوله تعالى: "وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ"، ومن المؤكد أن القدر المعلوم فيه إشارة إلى أن كل ما يدخل منها في الوجود إنما هو متناه عندما يأمر الله تعالى بهذا التناهي ويريده[2].

وبناءً عليه فنهاية الكون كبدايته لا يعلمها على وجه صحيح إلا الله، ولا يمكن أن يقع في ملكه إلا ما يعلمه لأنه المنزل له، فثبت أن نهاية الكون وبدايته

(١) سورة الحجر، الآية ٢١.

(٢) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد التاسع، ج١٨، ص ٤٠٨، بتصرف يسير.

يقعان في العلم الإلهي، ويتم كلٌ منهما طبقاً للقاعدة، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(١)، وقوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾(٢).

٣- مخالفة النصوص الشرعية

ومعناه أن كل ما ذكره هؤلاء فيما يتعلق بالموت الحراري، واستنفاذ طاقة الكون لا يمكن الاعتماد عليه، أما لماذا؟ فلأنه مخالفٌ للحقيقة الإلهية من حيث إن ما خلقه الله لا يعلم حقيقته إلا الله، ومن زعم غير ما جاء من عند الله فقد اجترأ على الله وكذب به، ومثله لا يكون مقبولاً عندنا.

وآيةُ ذلك أن الرسول (ﷺ) عندما انتقل ولده إبراهيم إلى الرحيم الرحمن ذكر الحاضرون أن الشمس وقع لها نوعٌ من غيابة الضوء فتصوروا أن ذلك فيه تعزية للرسول (ﷺ) غير أنه عليه الصلاة والسلام صحح ما دار في أذهان البعض بعبارة هادئة هي قوله (ﷺ): "إِنَّ الشَّمْسَ، وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَا يَخسفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللهَ (ﷻ) وَكَبِّرُوا، وَتَصَدَّقُوا"(٣).

وأنزل الله عليه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة قال تعالى:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(٤)، ومحل الشاهد أن الشمس والقمر كالليل

---

(١) سورة القمر، الآية ٤٩.

(٢) سورة الرعد، الآية ٨.

(٣) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الكسوف، باب نوع أخر منه عن عائشة، رقم الحديث ١٤٧٤، ج٣، ص ١٣٢، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

(٤) سورة فصلت، الآية ٣٧.

والنهار أمرها جميعاً بيد الإله الواحد القهار لا تحي إلا بإحيائه، ولا تموت إلا بإماتته.

وبناءً عليه حُسمت المسألة وبان أن كل ما خلقه الله تعالى علمه عنده جل شأنه، ولا يعلم ذلك إلا من خلق، وقد نبه الفخر الرازي إلى أن الله (ﷻ) بدأ هنا بذكر الفلكيات، ومنها الليل والنهار، وقد ذكر الليل على ما ذكر النهار تنبيهاً على أن الظلم عدمٌ، والنور وجودٌ، والعدم سابق على الوجود، وفيه دلالة على أن الشمس والقمر والأفلاك وسائر الكواكب أنما هي أدلة على وجود الخالق العظيم (ﷻ)[1].

لا يخفى أن مخالفة النص الشرعي تمثل عملاً لا يتفق إلا مع ذوي الضمائر الخربة، والعقول التي افتقدت صياغة ما فيها على ناحية صحيحة، لأن أي تصور يتم فيه افتراض غياب الله عن الخلق ونسبة الخلق إلى غير الله فيه خروجٌ على دين الله.

ولا يخفى أن إيماني اليقيني بالنصوص الدينية القائمة في الكتاب والسنة الصحيحة تنتهي بي إلى اعتقاد (أن الكون قائمٌ على مبدأ القوانين، التي خلقها الله ولا يمنع هذا الإيمان من أن يكون خالق القوانين قادرٌ على تعطيلها أو تجميدها أو نهايتها أو استبدالها، فذلك كله مما لا يوجد مانع عقلي يمنع حدوثه)[2].

بل إن من تأمل ظواهر النصوص النقلية، يجد أن بعض مواردها منبثٌ في كل ما خلق الله، ومستدلٌ عليه بها من ذلك قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا

(١) الإمام الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٧، ص ٥٦٥.

(٢) الأستاذ: حسين الخُشن، عالم دون أنبياء! دراسة نقدية في الفكر الربوبي، ص ٦٣، الطبعة الأولى ٢٠١٧م، ١٤٣٨هـ.

غَفُورًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾[2]، فما دام الله قد أنزله بقدر، وأسكنه في الأرض بقدر، وأمسكه فيها بقدر، فمن اليسير أن يذهبه كله بقدر، ولا يسأل عما يفعل، وقد نبه إلى هذا المعنى الإمام الغزالي، حيث يقول(إن الله تعالى أنزل من السماء المياه[3]، واستدل عليه بقوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾[4].

من المؤكد أن محاولة هؤلاء القفز على النصوص الشرعية والتخلص منها، واعتبارها كأن لم تكن، قد أدى بهم إلى الفساد والخراب، والدمار، وانتهى أمرهم إلى الفشل الذريع، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه لأمنوا بالله رب العالمين، وأعلنوا أن خالق الكون هو العليم به، ولا يخفى منه شيءٌ عن علمه، وكما أنهم لا يملكون خزائن رحمته، فهم كذلك لا يستطيعون حبس خزائن علمه.

السبب الرابع: سقوط إله الإلحاد.

(أ) العرض

يعتقد أصحاب الفكر المادي الإلحادي أن الإله الغيبي الماورائي يقف على رأسه يهوه إله العهد القديم بسلوك ليس يسهل قبوله، وأن هذا السلوك هو الذي

(١) سورة فاطر، الآية ٤١.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ١٨.

(٣) الإمام الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله، ص ١٢، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي.

(٤) سورة الفرقان، الآية ٤٨.

يترتب عليه الموت الحراري، صحيح أنها فكرة قد تكون هشة لكن لابد من احترامها، وهو الذي نبه إليه" ريتشارد دوكنز" وأعلن ضرورة متابعته من خلال كتابه" وهم الإله"[١]، حيث ذكر إن الآلهة المتعددة التي انتقلت إلى التوحيد كتطور بديهي يمكن أن يصاب هذا التوحيد[٢] إصابات بالغة.

لقد ذهب "دوكنز" إلى أن الآلهة الثلاثة بل الأربعة بل المتعددة، حينما ينسجمون في تعاملاتهم تحت قيادة واحدة، فمن المؤكد أن هذا قد يؤدي إلى عملية استمرار مضخات الحرارة في الكون، أما إذا اختلفوا فمن المؤكد أن الإله يهوه الذي يسود في الفكر اليهودي وتحمله طائفة عشائرية تابعة له، من الممكن القول بأنه: (إله غليظٌ جداً، مهوس بالقيود الجنسية بشكل سقيم، كما هو برائحة اللحم المفحم يتفوق بشكل كبير على كل الآلهة، ويخدم فقط تلك العشيرة الصحراوية التي اختارها)[٣].

يقف أصحاب الإلحاد عند هذا الإله مؤكدين سيطرة يهوه في بعض الأحيان، وعجزه في البعض الآخر، وطبقاً لنظرية الإله الإبراهيمي، فمن المؤكد أنه ليس الذي خلق الكون، بل إنه إله شخصي ويمتلك الصفات الغليظة[٤].

---

(١) تم نشر هذا الكتاب بواسطة بسام البغدادي، وصدرت النسخة التجريبية له في مايو ٢٠٠٩م، وصار يعتمد عليه الملحدون ويتناقلونه فيما بينهم في سذاجة مفرطة.

(٢) التوحيد هنا معناه رئاسة يهوه فوق الآلهة الأخرى، فإذا حدث نزاع بينهم نقص المخزون الحراري، وجاءت نهاية الكون، وبالتالي فخلاف هؤلاء الآلهة هو الذي يمكن أن يعول عليه في نهاية الكون.

(٣) ريتشارد دوكنز، وهم الإله، ص ٢٢.

(٤) هذه الصفات التي لجأت إليها الفلسفة الإلحادية تبعد عن البحث العلمي، والمفروض أن ما يتعلق بالموت الحراري يجب أن يكون راجعاً للأبحاث الفلكية أو الفيزيائية، غير أن الملحدين لا يقف أمامهم شيء من قاعدة صحيحة، أنهم يخلطون الأوراق وينزعجون ممن يطالب بردهم إلى الصواب.

لقد وقف الملحدون في غير حياء يعلنون إمكانية العلم في نفي وجود إله لـه صفات أعلى مما في عقولهم، وأكدوا أن هذا الإله والآلهة الأخرى هـم سـبب تعاسة الكون، ويجب التخلص منهم حتى تبقى الصورة التي وجد عليها الكـون نتيجة للانفجار العظيم، لأن وجودهم يهدد مسيرة الحياة بعراكهم وخروجهم عن الاتفاق المسبق، وسقوط نظرية تعاون الآلهة لما فيه استمرار الكون، لقد اعتقـد هؤلاء أن خلاف الآلهة لا يقف عند شيء بذاته، وإنما يهدد أوجه الحياة في كل أشكالها، بدليل أن البشر يتحلون ببصيرة واعية تمكـنهم مـن التنبـؤ بالنتـائج الكارثية للكثافة السكانية(١).

بل يعتقد هؤلاء أن عدم سيطرة الآلهة على وضع العلاقات بيـنهم أدى إلـى تدهور العقل وعجزه عن التنبؤ بالمستقبل، وهذا يؤدي إلى نقص رفاهية الجنس البشري، ولو أتفقوا فيما بينهم لاستطاعوا إيجاد وسائل تساهم في رفاهية الجنس البشري بدل أن تهدده(٢).

من المؤكد أن هذه الصورة تعتمد اعتماداً كلياً على أفكار ليست لها علاقـة بالمادة سوى أنها نقلت الأفكار الميتافيزيقية إلى ساحة المادة الجدليـة بغـرض النيل منهما معاً، وهي الطريقة التي يعتمدها الملحدون أينما كانوا.

لقد عاشوا فترة طويلة أسارى نظرية دارون الإحيائية، ثـم خرجـوا عليهـا باحثين عن منافع بيولوجية، واعتبروا الديانة القبلية آلية لتعزيز هويـة الـسلوك

(١) ريتشارد دوكنز، الجينة الأنانية، ص ١٨٢، ترجمة علي مـولا، طبعـة دار الـساقي، ترجمة: تانيا ناجيا، مركز البابطين للطباعة والنشر الكويت، الصالحية الطبعـة الأولـى ٢٠٠٩م.

(٢) أنهم يُحملون الآلهة في صورة الميتافيزيقا النقدية مسؤولية انهدام الكون، والتسارع فـي الفضاء على الحرارة التي بها يجيء الكون، وبناءً عليه فإن كل ما في الكون من شرور أياً كان نوعها يجب أن يتحمله هؤلاء الآلهة الذين تمادوا في المؤلفات التي يقرؤونهـا، والثقافات التي ارتضوها، وها هم يتخلصون منها.

البشري، وغاب عنهم أن هذه الأفكار لا تكون مقبولة لدى الباحثين من زملائهم لأنها لا تبلغ حد القانون أو القبول(١).

لقد حول أصحاب الفلسفة المادية الإلحادية الإله من عقيدة إلى فكرة، وقالوا: (فكرة الله، نحن لا نعرف كيف نشأة هذه الفكرة، والاحتمال الوحيد أنها تنشأ عن تحولات متعددة مستقل بعضها عن بعض وفي جميع الأحوال تبقى فكرة قديمة لكن ليس لها دليل يدعمها)(٢).

والسؤال الآن الذي يطرحه هؤلاء الملحدون، ما المميز في فكرة الله الذي يعطي هذه الفكرة الثبات والمقدرة على اختراق البيئة الثقافية، والجواب أن هذه الفكرة تنشأ عن الإغراق النفسي، باعتبار أن الظلم في هذا العالم قد يصوب في الحياة الثانية، وهو نوع من الخداع الذي يجب التخلي عنه)(٣).

غير خاف أن قضية الإلحاد تتسع عند غياب المواجهة لها، أما إذا حدثت المواجهة العلمية القائمة على أصول صحيحة، فمن المؤكد أنها تنكمش قليلاً، وبغض النظر عن اتساعها أو انكماشها، فمن المؤكد أنهم يعتبرون وجود الآلهة أحد أسباب نهاية الكون، من حيث إن اختلافهم أو اتفاقهم ينتهي إلى الموت الحراري، حيث تعود الحياة إلى نقطة الصفر، فالمادة تبرد، وكل ما في الكون يبرد، وعندئذ تكون النهاية.

---

(١) المعروف أن كل مسألة لم تبلغ حد القانون العلمي ما دامت تعتمد عليه فمن الواجب طرحها وعدم الالتفات إليها، لأنها لا تزال في طور الملاحظة والتجربة، أو في طور النظرية ولم تبلغ بعد درجة القانون العلمي. راجع للدكتور: محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، حيث ذكر تلك الجوانب على ناحية تفصيلية.

(٢) ريتشارد دوكنز، الجينة الأنانية، ص ٣١٤.

(٣) راجع ديفيد بوتاني، الإلحاد قاعدة معرفية، ص ١٠٢، ١٠٣، ترجمة: نهال زكري، طبعة دار القلم ٢٠١٠م.

كما يعتقدون أن الحياة لا يمكن أن تكون على كل هذا القدر من قلة الاحتمال، وإنما يمكن أن تكون هناك حياة أخرى على كواكب أخرى، بل إن قائلهم يؤكد هذه الفرضية وهي أنه ما دامت الحياة قد نشأت هنا فإنه لا يمكن أن تكون على درجة من قلة الاحتمال، ومن الأولى أن نقول إذا كان الموت الحراري يؤدي إلى نهاية الكون الذي وجد على الأرض فلنستعد من الآن لسكنى الكواكب الأخرى، ويجب الاستعداد لها قبل أن نكون مضطرين إليها(١).

(ب) المناقشة

يعلن أصحاب الفكر الفلسفي المادي الحديث عداوتهم للدين الإلهي ثم تتمدد تلك العلاقة بحيث تنال كل دين مهما كان شانه، المهم أن يصح عليه إطلاق اسم الدين(٢).

إنه لم ينكر أن آدم مخلوق، ولم ينكر أنه هو الآخر مخلوق، لكنه أنكر أن يسلم أمره لمخلوق آخر يسجد له تنفيذاً لأمر ربه، وقد عبر عن ذلك بقوله على سبيل الاستكبار أأسجد لمن خلقت طيناً، وأصحاب الفكر المادي الحديث هم الآخرون ينكرون أن يكون هناك إله شرع ما شرع، ودبر ما دبر، وأنزل ما أنزل ثم يتندرون بذلك كله على لسان داعيهم، وكأني بهم، وقد عابهم القرآن

---

(١) ريتشارد دوكنز، صانع الساعات الأعمى، ص ٢٧٦، ترجمة الدكتور: مصطفى إبراهيم فهمي، بدون تاريخ.

(٢) هذه العداوة مكن لها في الماضي البعيد إبليس اللعين حينما أمره الله تعالى أن يقدم تحية للمخلوق الجديد آدم عليه السلام في قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا" فكان رفضه السجود مبرراً بما لا يمكن قبوله في العقل السليم، يدل عليه ما ذكره القرآن على لسان إبليس "ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا" سورة الإسراء، الآية ٣١.

الكريم بقوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[1]، وسوف أناقش هذا الجانب من خلال ما يلي:

١- فكرة الإسقاط

ومعناه أن الماديين من الفلاسفة الإلحاديين يتناولون قضايا العقيدة الإلهية، ثم يسقطون عليها صوراً بشرية، يتحاكمون فيها، ويعلنون مخالفتهم لها، وبهذا يعتقدون أنهم خالفوا الأصل الوارد، بينما هم الذين صنعوا ديانة من عند أنفسهم، ثم قفزوا إليها معلنين مخالفتهم لها[2].

لقد نبه القرآن الكريم إلى هذا السلوك حين ذكر الطوائف التي استبدلت شرع الله بما أعدوه لأنفسهم وطبقوه بأنفسهم، وحاولوا هدمه بأنفسهم، فارتكبوا كل ذلك بأنفسهم، لقد أشار القرآن الكريم في آياته إلى تلك المحاولات الفاشلة لتكون في مواجهة النبوات الواردة عن الله تعالى، وأبرز تلك المحاولات، محاولة المحرفين، وهم الذين أقدموا على استعمال التحريف داخل النصوص الواردة عن الله بالكتابة تارةً، وبالنطق والتلاوة تارةً أخرى، وما كانت لهم من غاية إلا تبديل الكلمات الإلهية بغيرها، حتى إذا انتشرت الكلمات البشرية صارت بديلاً عن الكلمات الإلهية، حينئذ تضيع الكلمات، وتنتهي العقائد، وتزول الأحكام[3].

سوف لا اعتمد إلا على القرآن الكريم في عرض تلك الجوانب، لأنه الوحيد الباقي الصادق عن الله تعالى، ويجيء معه كتب السنة الصحيحة المطهرة:

---

(١) سورة الزخرف، الآية ٣٦.

(٢) أصحاب الفكر المادي الحديث يبنون مبان كثيرة من خيالات وهمية، ثم يعلنون خروجهم عليها مع أنهم الذين أقاموها، وغايتهم إثبات بطلانها مع علمهم أنها لا تأتي من عند الله، وإنما أقاموها بأنفسهم ثم يعيدون إبطالها بأنفسهم وكأنهم بهذا يستردون شجاعة مفقودة.

(٣) صح ذلك في النبوات السابقة على النبوة الخاتمة لسيدنا محمد (ﷺ)، وجاء ذكرها في نصوص قطعية الورود عن الله (ﷻ) في الكتاب الكريم وصحيح السنة المطهرة.

* **التحريف الكتابي**، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]، قال الفخر الرازي، لما حكى عنهم أنهم يشترون الضلالة بالهدى، شرح كيفية تلك الضلالة، وهي أنواع منها، أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، وذكر فيها وجوهاً أربعة[2]، وبناءً عليه فهم في تحريفهم قد انتقلوا من النص المخبر به عن الله، إلى نص آخر صاغوه بأنفسهم وسعوا إلى المحافظة عليه، ولأنهم كانوا مستخلفين في المحافظة عليه، فقد أضاعوه وتنازلوا عما استحفظوا إلى غيره.

لقد بين القرآن الكريم هذا كله من المتعلق بالتحريف الكتابي، سواءً بالتبديل أو الزيادة أو النقصان، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3].

* **التغير الكلي** إذا انتقلنا من طائفة المحرفين نجد طائفة المزيفين، وهم الذين أهملوا النصوص الإلهية، وتخلصوا منها ثم ألفوا نصوصاً غيرها، وزعموا أنها من عند الله جاءت ليتكسبوا من ورائها، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ

(١) سورة النساء، الآية ٤٦.

(٢) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد الخامس، ج٩، ص ٢٣٢.

(٣) سورة المائدة، الآية ١٣.

﴿ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1].

لقد نبه ابن عاشور إلى هؤلاء المزيفين حينما ذكر أن ما فعلوه كان على سبيل القصد، وأنهم يكتبون شيئاً لم يأتهم من الله، بل هم الذين وضعوه وابتكروه ثم قالوا زيفاً" هو من عند الله" مع التأكيد أن ذلك قولهم بأفواههم، وأنه ليس مطابقاً لما في نفس الأمر[2]، وما داموا قد حرفوا وزيفوا وخدعوا أصحاب الأماني الكاذبة، فقد عرض الله تعالى أمرهم في كتابه على صورتين، الأولى قال فيهم:﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[3]

قال الإمام الفخر الرازي: لما أراد الله بيان موقف هؤلاء الموصوفين بالعناد وبقاء الطمع، وذكر أنهم فرق[4] وانتهى إلى أن فرقة الأميين هم العوام الذين لا معرفة عندهم بقراءة ولا بكتابة، وطريقتهم التقليد، وبالتالي فهم من طائفة العوام المقلدين الذين جمعتهم الأماني، وغلبتهم تخيلاتهم الشيطانية، ومن أمانيهم أن الله تعالى لا يؤاخذهم بخطاياهم وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، وما هي إلا أكاذيب مختلفة سمعوها من علمائهم فقبلوها على التقليد[5].

الصورة الثانية وهي أنه إذا كان القوم على ما ذكر فقد بدا منهم فريق نبذوا ما جاء من عند الله وألقوه بعيداً، وهؤلاء يظهرون أمام الرأي العام في مظهر

---

(١) سورة البقرة، الآية ٧٩.

(٢) الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج١، ص ٥٥٣، طبعة الحلبي ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

(٣) سورة البقرة، الآية ٧٨.

(٤) الأولى: هي الفرقة المضلة، وهم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، والثانية: فرقة المنافقين، والثالثة: الذين يجادلون المنافقين، والرابعة هم العامة الأميون.

(٥) الإمام الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد الثاني، ج٣، ص ١٩١.

المحافظ على النصوص اللاهوتية، بينما هم الذين طمسوها بأيديهم فصاروا كالكلاب المسعورة في التكذيب، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

ومن جملة ما فعلوه إطلاقهم أسماء على الله تعالى صاغوها بأنفسهم ومنها الإله يهوه، أو الإله ياهو، الذي أسقطوا عليه كل الخطايا، وكتبوا عنه ما كتبوا، ثم انتقموا منه على النواحي الأدبية وغيرها، وليس أدل على ذلك مما كتبه" ليوتاكسل" بقوله: (إن موقف يهوه يُثير الغضب، لأنه أظهر جوراً وتعسفاً، واضحين في مسألة العلاقة بين قابيل وهابيل، وأن الرب نظر إلى هابيل وقربانه، ولم ينظر إلى قابيل وقربانه، فاغتاظ قابيل من تصرف يهوه الحائز قال الرب لقابيل لماذا اغتظت، ولماذا سقط وجهك إن أحسنت أفلا ترفع وجهك، وإن لم تحسن فعند الباب خطيئة رابضة)[2].

لقد سار أصحاب الفكر المادي الحديث يقاتلون "يهوه" ويسقطون عليه كل الخطايا، ثم يسحبونها على

الدين الإلهي كله، باعتبار أن ما جرى على يهوه الإله المصطنع يجري على غيره، والقياس الفاسد ليس يمتنع عندهم، وليس أدل على ذلك من القول بأن يهوه حين صنع النجوم والليل والنهار لم يكن على يقين بما صنع، ومن ثم هاجموه وقرروا ضرورة التخلص منه والتخلي عنه ما دام لا يعرف ما يجرى في الطبيعة وأحوالها.

---

(١) سورة البقرة، الآيتان (٩٩ –١٠٠).

(٢) ليوتاكسل، التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص ٤٣، ترجمة: حسان ميخائيل، طبعة الأسد، دمشق ١٩٩٩م.

ومن المؤكد أن إنكار العلم بالله، وإنكار معرفة الله بما له من صفات الجمال والجلال والكمال والإكرام، وإنكار ما يتعلق بالغيب كله إنما هو نوع من الإسقاط للإله المخترع، وذلك مما يُحسب عليهم ولا ينسب إلى الله في شيء، لأن الله تعالى لا يغيب عنه غائبة، قال جل شأنه: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(١).

ونحن نؤكد أن الإله الذي نعبده جل شأنه: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٢)، له جميع صفات الجمال والكمال والجلال والإكرام، وأن أمره بين الكاف والنون، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٣) وأن نهاية الكون وبدايته لا ترتبط بسبب، وإنما ترتبط بعلم الإله الخالق العظيم جل علاه، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّىۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٤).

لقد فشلت الفلسفة المادية الحديثة حتى اليوم في إشاعة الإلحاد ونشره، بحيث يتغلب على الشريعة الإلهية لكن ذلك لم يتحقق، وما أظنه إلا هباءً منثوراً، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٥).

(١) سورة النمل، الآية ٧٥.

(٢) سورة الشورى، الآية ١١.

(٣) سورة يس، الآية ٨٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٨٧.

(٥) سورة يوسف، الآية ٢١.

الفصل الثاني

مظاهر الموت الحراري عرض ومناقشة

سلف الحديث عن أسباب الموت الحراري عرضاً ومناقشة، كما ذكرت تعقيباً انتهيت فيه إلى ما أثبت في ثنايا البحث، وها أنا ذا أنتقل إلى الحديث عن مظاهر الموت الحراري، وسوف أسلك فيه ما ذكرت في سابقيه من العرض والمناقشة، ثم التعقيب، وسيكون ذلك طبقاً لما يلي:

ذهبت الفلسفة الإلحادية المادية الحديثة، إلى القول بأن نهاية الكون مرتبطةً ارتباطاً وثيقاً بالأساسيات التي قام عليها، وبناءً عليه انتهوا إلى جملة من المظاهر التي تعبر عن الموت الحراري، ومن أهمها ما يلي:

المظهر الأول: فقدان وسائل البقاء

(أ) العرض

١- يعتقد أصحاب القول بالموت الحراري، بأن أهم المظاهر هو خروج الأسباب التي كانت قائمة، بحيث تبعد عن العمل فتصير كأنها مستهلكة، بدل أن تكون منتجة، ويعتقدون أن في هذا الكون الفريد يحدث انحراف، قد يكون صغيراً في قوانين الطبيعة، حيث لم تعد هناك مادة موجودة كافية لتشكيل عشرة آلاف مليار فضلاً عن الوقت الكافي التي تتشكل فيه النجوم ذات العناصر الثقيلة.

٢- سعت الفلسفة الإلحادية إلى ممارسة أنواع من الضغط على الاتجاه الفكري، الذي يستغل بعض الآراء التي ترجع إلى عهود كان البحث العلمي فيها معتمداً على ما يذكره أصحاب الفكر اللاهوتي، ثم انتهت إلى إصدار ما يشبه القرارات النهائية رغم أن المسألة معرفية متحدين الواقع العلمي، مؤكدين على

مسألة أساسية، وهي (أن سرعة الضوء مثلاً في الفراغ له دوراً بالغ الأهمية في كل تلك النظرية، إذ تبدو فيها الحد الأعلى التي يمكن أن يبلغها الجسم المادي)[١]، ثم إن هذا الفقدان راجعٌ إلى عدم وجود أسباب الحرارة، التي تنتج موجودات يمكن أن يكون لها الحق في الحياة.

٣- إن المصدر الحراري الأساسي سوف ينقضي، ومظهره هو الموت والهلاك، ويقول "هانوفيل": (أننا لا نستطيع الجزم بأننا نعيش يوم أمس، أو يوم غد، لأن الحرارة إذا تلاشت لن يبدو ليلٌ أو نهار، وإنما سيسود الخراب والدمار، ونتمنى أن لا يكون ذلك من حظنا، لأننا لا نستطيع أن نواجه الظروف التي تمر بنا على هذا النحو)[٢].

وإذا كان الذي يقرره هؤلاء لا يحتاج التكذيب، نظراً لأنه كاذب بذاته، إلا أننا قد نجد سبباً نفضح به أقاويل هؤلاء المرجفين، يقول" كريس إمبي": (إن مراقبة الشمس كمصدر للحرارة، وانتظار تقدمها في العمر أسوأ من مراقبة الطلاء وهو يجف)[٣]، وهي مقايسة غير معدولة، بل قل أنها مقلوبة ولا يصح فيها حكم الشاهد على الغائب[٤].

---

(١) لويس دي بروليه، الفزياء والمكروفيزياء، ص١٣٣، ترجمة الدكتور: رمسيس شحاته، سلسلة الألف كتاب، العدد ٦٣٤، الإدارة العامة للثقافة ١٩٦٧م، وراجع للدكتور: فوزي محمود طلبة، الفيزياء والميكروفيزياء دراسة في الكون، ص ٢٤١،٢٤٥.

(٢) جورج هانوفيل، نظريات الكون الفلكية والفيزيائية دراسة إنشائية، ص ٨٥، ٨٦، طبعة بيروت ٢٠١٥م.

(٣) كريس إمبي، نهاية كل شيء، ص ١٩٩.

(٤) فكرة قياس الشاهد على الغائب لا تستقيم من الناحية العلمية، ولا نجد لها سند من الناحية الشرعية، كما أن فكرة قياس الغائب على الشاهد ربما أفادت في جانب بذاته لكنها تخفق في باقي الجوانب.

لقد كان من شأن تلك الأسرة المنكوبة أن تعيد حساباتها مع الله، لا أن تبارز الإله، لكنهم اختاروا طريق القتال والمبارزة، دون أن يكون لديهم شيءٌ يقوم هذا الاتجاه وينميه.

٤- إن التضيق على الأفكار الفلسفية الميتافيزيقية سوف يكون صعباً، إلا أنهم أكدوا مراراً قابليتهم للأفكار التي تُنشؤها سلطات الكنيسة ورجال السياسة، واعتبروا أن ذلك بمثابة جواز سفر أو جواز مرور لما يريدون التعبير عنه، وحجتهم في ذلك (أنهم وجدوا ما يبرر للعلم ألا يؤيد القضايا التي نفترض أن الأشياء هي مجموع صفاتها السنوية)[١]، لأن هذه القضايا تفتقد العناصر الأساسية التي يجب قيام القضايا الميتافيزيقية عليها.

وبهذا يبدو أن مظهر الموت الحراري قد تحقق لدى الكثيرين مما عرفوا بعد ذلك بالمدرسة الإلحادية، وكان لهم خطرٌ كبيرٌ على أبناء المسلمين وبخاصة الذين يتعاملون على ناحية من النواحي بمثل ما تبثه تلك المدارس من المفاهيم التي يجب التنحي عنها، لأنها تدعوا إلى الإلحاد الذي يفتقد القيمة الموضوعية ويفضي إلى الإقلال من طلب الحماس المعرفي[٢].

---

(١) جيمس جنيز، الفيزياء والفلسفة، ص ٢٦٤، ترجمة: جعفر رجب، طبعة دار المعارف ١٩٨١م.

(٢) الحماس المعرفي هو تلك الحالة التي تسيطر على باحث التجربة من حيث إنه وضع المواد الكيميائية المقترحة على الصورة التي برزته، ويظل الباحث العلمي قابعاً بين النظريات التي يبحث فيها عن الوصول إلى نتائجها بكل جد واجتهاد كما يكون لديه استعاد لتطبيق وسائل التجربة بغية أن تحرز نجاحاً يؤكد النجاح السابق، ويصل إلى النتاج العلمي في صورته اليقينية، ولذا تجد حماسه يستمر على وتيرة واحدة، دون أن يؤثر فيه أو في نشاطه رغم حاجته إلى النوم والراحة.

وإذا حاولنا تناول هذا الجانب على ناحية تفصيلية ربما استغرقنا وقتاً طويلاً، ونحن لا نريد إلا أن نكون عناصر فاعلة بدل أن نكون عناصر بعيدة عن تلك الصفة.

لقد صارت مسألة البحث العلمي بعيدة كل البعد عن الجانب الذي يمكن التعامل معه إلى آخر، وصارت مقولتهم تدين فريقاً لصالح آخر، وعلى ضوء هذا المفهوم(فسرت الفيزياء الحديثة عديداً من الظواهر التي بدت في وقتها غير قابلة للتفسير، ولكنها لم تحقق النجاح الشامل)[1].

(ب) المناقشة

إذا كان أصحاب الفلسفة المادية الحديثة يعلنون أن نهاية الكون مقترنة بالموت الحراري، ومن مظاهره فقدان وسائل البقاء، وسوف أناقش هذا الجانب من خلال ما يلي:

١- متعلق الإرادة وتنفيذ القدرة الإلهية.

من المؤكد أن وسائل استمرار الحياة مصدرها الأساسي الله، لأنه الذي منحها الوجود، وهو الذي يحافظ على هذا الوجود إن شاء فيبقى ويعلو، أو يرضى لهذا الوجود بالفناء فيفنى، ويكون أمر القاعدة المشهورة ما ذكره السعد التفتازاني مستشهداً قول القاضي أبي بكر الباقلاني، فيما يتعلق بفناء الأجسام وقيامها على إعدام الله تعالى لها بلا واسطة، وذكر قول "أبي الهذيل العلاف" (ت:٢٣٥هـ) (بأن الإفناء يتم بأمر الله "إفن" كما أن الوجود يتم بأمر الله "كن")[2].

---

(١) جيمس جنيز، الفيزياء والفلسفة، ص ٢٠٧.

(٢) السعد التفتازاني، شرح المقاصد، ج٥، ص ٣٥٠، تحقيق الدكتور: عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

ومن ثم فإن إسناد نهاية الكون لا يكون إلا لله لا إلى غيره، بغض النظر عن الوجود الحراري أو الموت الحراري فإنها جميعاً مخلوقة لله ومقدرة لـه جـل علاه.

٢- التزام الضمان الأصيل.

إن المسائل المتعلقة بفقدان وسائل البقاء لا تخرج عن النصوص الـشرعية، من حيث إنها أمرٌ غيبي، والأمر الغيبي لا يشترط فيه وجود الأسباب الطبيعية، أو عدم وجودها إذ المسألة لا ترتبط بشيء سوى الإرادة الإلهية التي تخـصص الموجودات أو تخصص المعدومات على ناحية من النواحي.

إذا كانت الفلسفة المادية الإلحادية الحديثة يعتقد أصحابها أن الموت الحراري المترتب عليه هلاك الكون ليس له خالق، فقد فاتهم ما يمكن أن نرد به علـيهم، وهو الإرادة الإلهية[١]، على معنى أن الإرادة الإلهية صفة تخـصيص للمكـن ببعض ما يجرى في الأمور المتقابلة.

صحيح أن الإرادة صفة لله تعالى وجودية أزلية قديمة قائمة بذاتـه تعـالى، والدليل على ثبوت الإرادة له تعالى" العقل والنقل"، فمن النقـل قولـه تعـالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٢] ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٣]، وأما من العقل فما ذكـره الـشيخ "الحامدي" من القول بأن الدليل على ثبوت الإرادة له تعالى هو أنـه (لـو لـم

---

(١) جاءت آيات كثيرة تتحدث عن الإرادة الإلهية، يستوي في ذلـك أمـر الكـون أو أمـر التكاليف، فمن أمر التكـاليف، قولـه تعـالى: "يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ"، سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٢) سورة يس، الآية ٨٢.

(٣) سورة النحل، الآية ٤٠.

يتصف بالإرادة لاتصف بضدها وهو الإكراه، لكن اتصافه بضدها محال[١]، كما أنه تعالى لو لم يكن مريداً لكان مكرهاً، ولو كان مكرهاً ما كان إلهاً، لأن الإكراه ينافي الاختيار، فثبت له تعالى صفة الإرادة)[٢].

٣- ضرورة تطبيق مطالب الإرادة الإلهية.

ومعناه أن الإرادة الإلهية لها مطالب، (مردها إلى أننا نشهد ونعتقد أن إرادة الله تعالى موجودة وقديمة وباقية ومخالفة لإرادتنا الحادثة، وغنى عن المخصص وواحدة وعامة التعلق بجميع الممكنات)[٣]، وبهذا يثبت أن ما ذكره أصحاب الفكر الإلحادي لا يستقيم على ناحية شرعية، بل إنه دالٌ على عجز القوم عن فهم ما يتعلق بالذات الإلهية.

٤- الخروج عن حد الاستقامة.

ومعناه أن كلمة فقدان لا تستقم من ناحية أن كل موجود مرده إلى الخالق العظيم، وبناءً عليه فلا يصح وصفه بالفقدان ولا بالنقص، إنما يصح وصفه بالاستمرار، وبخاصة أن جميع الصفات الإلهية لها تعلقات تدور في القبضات كما تدور في الخطرات[٤].

---

(١) وجه الإحالة أن المختار المُريد لا يكون مكرهاً، ولا مجبراً، لأن الجبر والإكراه ينفيان الإرادة والحرية، كما ينفيان الغنى والاستغناء.

(٢) الشيخ: إسماعيل الحامدي، شرح الحامدي على العقيدة الصغرى للدردير، ص ٢٦، طبعة الحلبي ١٩٤٥م.

(٣) الشيخ: محمد نووي الشافعي، نور الظلام شرح منظومة عقيدة العوام، ص ٩، طبعة الثانية ١٩٣٦م.

(٤) الثابت أن علماء العقيدة الإلهية ميزوا بين قبضات العدم وقبضات الوجود، وذكروا أن قبضات العدم ثلاثة، وقبضات الوجود ثلاثة، قبضة العدم الأولى، وهي التي تكون لجميع المخلوقات في العدم، ثم تأتي قبضة الوجود الأولى، فتنتقل المخلوقات من العدم إلى الوجود، وتسمى قبضة الوجود الأولى، ثم تجيء قبضة العدم الثانية عندما يريد الله=

وبناءً عليه فإن كل ما ذكر يعلن في وضوح تام، أن مسألة نهاية الكون كبدايته لا يعلمها إلا الله، ولا نقف على استنزاف الوسائل أو زيادتها، لأن من يقف على الأسباب يكون محتاجاً إليها، والله (ﷻ) هو الغني المستغني.

المظهر الثاني: اتساع الحكايات الإنسانية.

(أ) العرض

ومعناه أن جميع المفكرين في الغرب ينظرون إلى تلك الأفكار بنظرة عدائية، يقول البروفسير "واي تون": (من العجب أن تنصح الكنيسة في مواعظها الشباب والشيوخ حتى تتحول تلك الساحة إلى شعبة من شعب الدين، أو حقيقة من حقائقه)[1]، من حيث إن الذين حاكوها لم يعلنوا أن مصدرها هو الدين، بل على العكس من ذلك وأعلنوا أن مصدرها هو ذلك التراث الإنساني الذي ورثه كل فرد عن الجماعة التي يعيش فيها، يستوي في ذلك الأسرة، والحي، ثم القسم، وأخيراً المدينة.

١- حكى الكثيرون عن تلك السمات التي تنبعث منها المشكلات الدينية، وانتهوا إلى أن الموت الحراري ليس مفاجئاً لنا بل هو صديق نحتمي به

=لهذا الكون أن يفنى، فإذا أفنى وأراد الله إعادته من جديد أحياه، وهي قبضة الوجود الثانية، وإذا أراد الله تعالى أن يعدمها بحيث يخلد الخلق جميعاً إلى حياة القبور نفذ فيهم قبضة العدم الثالثة، ثم إذا أراد الله إحياء الخلق للحساب أوجدهم من خلال ما عرف باسم قبضة الوجود الثالثة، بحيث يحيى الناس في جنات الرحمن إن كانوا من أهل الجنة، أو أن يكونوا في جهنم، ونأمل الله تعالى ألا نقع فيهم. راجع للشيخ: إبراهيم الباجوري، حاشية تحقيق المقام، ص٤٧، طبعة الحلبي، وللشيخ الفضالي، كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام، ص ٤٧.

(١) واي تون، الفوضى الخلاقة ووسائل الاقتراب منها والدفاع عنها والارتداد إليها، ص١١٥، ١١٦، تحقيق: عادل لطفي، ٢٠١٠م،٢٠١١م، مكتبة القلم بالكويت.

ويحتمي بنا، ولا يفصلنا عن بعضنا سوى ما خصت به الطبيعة كل فرد عن الآخر[١]، وهو الذي يمكن التعامل معه، بناءً على امتياز كل نوع بأفراده.

٢- ذكر "ستيفن هوكنغ" في كتابه تاريخ موجز للزمان حيث ذكر فيه مجموعة من الإجابات التي تتناول سر الوجود الفيزيقي، وتؤكد أن جميع مستويات هذا الوجود سوف تتلاشى وهي تقوم عندهم على (أن مصدر الحرارة الوحيد سوف ينطفئ ويتلاشى مع جميع الموجودات التي تعتمد على الدعم الحراري)[٢].

٣- ما علاقة هذا بالموت الحراري؟ والجواب ربما نتساءل ما علاقة هذا بالموت الحراري، وكيف يكون مظهراً له، والجواب أن مسألة الموت الحراري ساكنة ضمن جاذبية القوانين اللازمانية المفارقة التي أثبتت للكون الوجود، ومن المؤكد أن فقدانها أو تلاشيها سيؤدي بالكون إلى الفناء.

ويعتقد "هورلي" أن النظام الذي يحيط بالدائرة كنظام يفيد أنها تبقى لكن فترة صغيرة، ومتى ازدادت عملية الانصهار داخل الكون الحراري فإن ذلك يعجل بنهايتها، ونهاية الكون أيضاً[٣]، ولا شك أن هذا المظهر بجزئياته ينتهي حتماً إلى القول بأن الكون مهدد بالفناء متى تعلقت به مسألة حرارة الكون، ويعتقد مخالفوهم أن هذا الإتجاه لا يُمثل قاعدة علمية، وإنما هو ترجمةٌ لما يدور في أوهام العجائز الذين قضى على أحلامهم البحث في الفيزياء، والميكروفيزياء بجانب الدلالات القائمة في علم الفلك.

---

(١) قاعدة التقابل أو التكامل بين الرجل والأنثى متجهةٌ إليها في الكثير من الصور التي تبين أن أفراد النوع الواحد بينهما تكامل لا يستطيع أحدٌ أن يملأه أو يفرط عُقده.

(٢) بول دافيز، الاقتراب من الله بحث في أصل الكون وكيف بدأ، ص ٢٥١.

(٣) وليم زوسر: الكون بداية ونهاية، ص ٢٥١، ترجمة الدكتور: عدلي فكري رزق، طبعة بيروت ١٩٩٨م.

(ب) المناقشة

يذكر العلم التجريبي أن بعض الناس ممن يعيشون على الوعي الاستهلاكي[١]، ويتخلون عن النور الإلهي يستغرقون في شهواتهم التي تؤدي بهم إلى كثير من الأمراض العقلية وأغلبها يدور فيه مرض فقدان الذاكرة، ويمكن أن يسمى باللغة المعاصرة مرض الزوهايمير الذي يستولى على خلايا الذهن، ويقوم بتدميرها، ويعمل عمله في المخ، فيفتقد صاحبه القدرة على الإصغاء للآراء المعروضة، كما يفتقد فهم ما يلقى إليه، ويحدث له كثير من أنواع النسيان حتى لا يعود يتذكر أنه موجود أو غير موجود، بل لا يشعر بالجوع أو العطش أو غير ذلك من أسباب الحياة[٢]، وإنما يحكي ما يعتبر من خرافات العجائز، وليس من قواعد العلم الصحيح، أما لماذا؟ فلما يلي:

١- إن الذاكرة تتألف من ثلاثة مكونات هي:

الأول: التحويل الشفري، ويقصد به العرض المبدئي للمعلومات الحسية في المخ، ومهما كان وسيط العرض[٣]، فإن أعضاء الاستقبال تحول هذه الطاقة الفيزيائية وتقوم بتسجيلها داخلياً على نحو أو آخر.

الثاني: التخزين وهو الذي يبدأ عندما تستمر نتيجة التسجيل التي تُسمى أثر الذاكرة، أو رسم المخ لفترة من الزمن، أو عندما تتعرض لبعض التغيرات، مثل التضاؤل أو التداخل أو الدمج[٤] فهذا كله يعد من قبيل التخزين.

---

(١) المراد بالوعي الاستهلاكي هو الذي يتعلق بالإنسان الذي لا يبدع، وإنما يكرر ما اعتادهُ، أو يلقى إليه فيكرره على الدوام. راجع للدكتور: فؤاد أبو حطب، القدرات العقلية، ص ١٩٥، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٩٦م.

(٢) أ.ل زانجويل، مدخل إلى علم النفس الحديث، ص ١٢١، سلسلة الألف كتاب، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، المطبعة النموذجية ١٩٥٧م.

(٣) المراد بوسيط العرض ما يقع في البصر أو السمع أو وسائل الإدراك الحسية الأخرى، ومنها الشم، والتذوق، فإنها جميعاً تسمى وسيط العرض.

(٤) هذه المتشابهات الثلاثة ليست هي الأخيرة، وإنما هي مجرد أمثلة لما يمكن أن يحدث عند عملية التخزين التي يقوم بها المخ.

الثالث: الاسترجاع أو الاستعادة ويقصد به استخدام المعلومات المختزنة وقت الاختبار، وقد يكون هذا الاختبار محدثاً من الخارج أو مستشاراً من الداخل(١)

ومن المرجح أن نظام السلوك الذي يقوم على التفاعل المتبادل بين الفرد وبيئته، هو الذي نتج عنه ذلك الانحراف العقلي، أما لماذا(فقد يكون الفرد غير سعيد، وقد يكون محبطاً، وقد يكون على خلاف بين أسرته وأصحابه وغيرهم(٢) من مخالطيه ومع المجتمع، وقد يكونوا من هؤلاء الأفراد من يجد سبباً للاعتراض على سلوكه، على حين يكون هو شخصياً على أتم الرضا من نفسه(٣)، فتكتمل الصورة الذهنية من هذه المكونات الثلاثة، وبالتالي فصاحب الوعي الاستهلاكي لا ينمي تلك المكونات، وإنما يهملها ويعيش على المكرر، ومن ثم فتصير الآراء التي يعرضها من خرافات العجائز.

٢- إن هذه العقدة إذا أصابت الخلايا العصبية أفقدتها الاستقبال الحسي الخاص بالمسافات فلا يدرك صاحبها طبيعة المسافات التي تفصله عن الآخر، بل تجعله عاجزاً عن السلوك الدقيق فيسلك المسلك الحيواني كأنما هو أعمى، ويفوته أن يميز طعامه، وينقص السلوك الجنسي لديه نقصاناً عظيماً، وبخاصة

---

(١) الدكتور: فؤاد أبو حطب، القدرات العقلية، ص ٣٠٩، ٣١٠.

(٢) من المؤكد أن هذا الفرد إذا كان على غير وفاق مع من ذكرت، فقد يرى في اليقظة ما يقلقه، وفي المنام ما يزيد من قلقه، حتى أنه ربما أمضى ليلة في سهر بعيداً عن حدود البيوت أو داخل غرفة يهزوا فيها وحده، ولا منقذ له إلا إذا تم علاجه على ناحية جامعة بين العقاقير والتفريغ الشحني. راجع للدكتور: سبنسر كولز، اعرف نفسك، ص ٤٧، ترجمة الدكتور: عادل عزت، طبعة دار المعارف بالقاهرة ١٩٤١م،

(٣) الدكتور: ج.ب جيلفورد، ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية، ص ٦٣٣، المجلد الثاني، إشراف الدكتور: يوسف مراد، منشورات جماعة علم النفس التكاملي، طبعة دار المعارف القاهرة.

عند الذكور[١]، حينئذ يصير عالة على من يعيشون معه، ويتحملون المشكلات التي يعاني منها.

٣- إن صاحب هذه الحال (سوف يحكي دون أن يركز فيما يحكيه فيسمع الصبيان والكبار منهم ما إذا حكى سخروا منه، وإذا نقل نفروا منه، ويطلقون على ما يذكر اسم حكايات العجائز، وغايتهم من ذلك إثبات أن صاحب القول ليس إنساناً سوياً)[٢]، وإنما هو إنسان يحتاج الوقوف معه ليمر بمرحلة علاج قد تكون مفيدة بالنسبة له.

٤- إن من يتحدثون عن الموت الحراري يخرجون عن القواعد التي يتم التعامل بها، فيحكون ما لا تكتمل معه معرفة ثم ينقل هذا عنهم لا باعتبارهم مرضى، وإنما باعتبارهم أصحاء، وتلك مشكلة قائمة لدى جميع من لا تربطهم بالله تعالى رابطة، لقد أكد الدارسون لاختبارات السمات الاجتماعية[٣]، والتوافق الانفعالي[٤] أن كل ما يقال عن التوافق المنزلي الصحي والاجتماعي،

---

(١) هذه المسألة مرجعها إلى ما أصاب صاحب ذلك العقل من نكبات وسوء تغذية، وبعد عن الله تعالى فترتب عليه أن صار طريداً مع أنه يعيش بين أهله وجيرانه.

(٢) الدكتور: ج.ب جيلفورد، ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية،ج٢، ص ٥٩٨.

(٣) السمات الاجتماعية هي القواعد العامة التي تدور في المجتمع من كافة طبقاته، ويشترك في تطبيقها الجميع على أنها ضوابط يجب التزامها، وتتوقف حياة الناس على تطبيقها، أما لماذا؟ فلأنها ترجع نشاط الإنسان في داخل بيئته إليها، وتأثيره فيها، وهذه العملية تأخذ مظهراً تجميعياً وآخر تراكمياً. ر. م. ماكيفر، شارلزبيج، المجتمع، ص ٢٣٩، ترجمة الدكتور: علي أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية.

(٤) التوافق الانفعالي معناه إزاحة ما في الصدر، وتفريغ المادة ذات الشحنة الانفعالية في حدود ما هو متاح من غير أن يترتب عليه شيء يخرجه عن الحدود المتعارف عليها بين الأسوياء. راجع ج.ب جيلفورد، ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية، ج٢، ص ٦٥٩، حيث يؤكد أن عملية الإزاحة لما في الصدر خبرة مألوفة للناس جميعاً، إما قولاً، أو فعلاً والمشكلة تتعلق بطريقة التفريغ للمادة ذات الشحنة الانفعالية، وكلما كان الفرد متوافقاً نفسياً فإن تفريغ تلك الشحنة يكون متوافقاً مع القواعد العامة.

والانفعالي يجب أن يكون مهيأ ومتجهاً لغاية محدودة، فإذا لم تكن كذلك أدين بها صاحبها وخرج عن المعقول إلى غير المعقول.

وحينئذ نقول له ولذويه يجب أن يخضع للعلاج داخل مصحة عقلية، بدل أن ينشأ جيل يسمع حكاياته فيفقد إيمانه بالله، ويفقد فَهمه للعلم، بل ينقلب إلى إنسان غير سوي على الإطلاق(١)، وبإنزال تلك القواعد العلمية على القائلين بأن نهاية الكون مرتبطة بالموت الحراري، تبين أنهم جميعاً يحتاجون إلى المصحات حتى لا يسبب وجودهم في إنشاء جيل بعيد تمام البعد عن الصحة النفسية(٢)، وهذا مكمن الخطر على المجتمع والدين، وبناءً عليه يكون وجودهم خطراً قائماً.

ثم إن الشرع إنما جاء ليحفظ على الناس دينهم وأنفسهم، وعقولهم، وأنسابهم، وأموالهم، فكل ما يؤدي إلى الإخلال بواحد منها فهو مضرة يجب إزالتها ما أمكن، وفي سبيل تأكيد مقاصد الشرع يدفع الضرر الأعم بارتكاب الضرر الأخص(٣)، وقد نشأ عن هذه القاعدة فروع من أبرزها" جواز الحجر على

---

(١) يجب أن يستخدم مع هؤلاء المرضى مؤشرات محددة للخلل الموجود في العقل بحيث يستوثق الفاحص أنه أقام فحصهُ على ناحية سليمة، من خلال ما يعرف بالتجربة الضابطة، التي تجرى في حالة وجود أي شك في قدرة المفحوص على تكوين المفهوم أو على التحول الدكتور: لويس كامل مليكة، علم النفس الإكلينيكي، ص ٣١٦، ج١، التشخيص والتنبؤ في الطريقة الإكلينيكية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

(٢) إذا أمكن توجيه هؤلاء المرضى العقليين إلى المصحات التي يتم علاجهم فيها يكون الموقف أفضل، بل هو خيرٌ لمجتمعاتهم من تركهم يقولون ما لا علاقة له بصحيح العلم، ولا بنصوص الدين، والقاعدة " أن درء المفاسد أولى من جلب المصالح". الدكتور: عبد العزيز محمد عزام، المقاصد الشرعية في القواعد الفقهية، ص ١٥٢، طبعة دار البيان للطباعة والنشر ٢٠٠١م.

(٣) إذا كان من أمر هذه القاعدة المحافظة على مقاصد الشريعة الخمسة، فقد أجاز الفقهاء للدارسين التأكد من حكمة هذه القاعدة، وضربوا لها أمثلة عدة منها" أن حد القطع في السرقة شرع لحماية الأموال، وغير ذلك مما أفاضت به الشريعة الإلهية.

المفتي الماجن حرصاً على دين الناس، والطبيب الجاهل حرصاً على أرواحهم، كما يجوز التسعير على الباعة دفعاً لضررهم على العامة[1]، وإذا لم يقم المجتمع بهذا كله ترتب عليه أخطارٌ يصعب النجاة منها.

المظهر الثالث: استقراء الواقع الحيوي.

ومعناه أن الدلائل المنتشرة في الكون لا تدل على الموت الحراري، بل الواقع الحيوي يشهد غير ذلك على الناحية العلمية، والفيزيائية، والفلكية، وبالتالي يبقى الفيزيائيون هم الآخرون ينبهون إلى خلل فكرة الموت الحراري، وسوف أتناول هذا المظهر من خلال ما يلي:

(أ) العرض

يقرر أصحاب الفكر المادي الحديث، أن درجة الحرارة في الكون آخذة في الانكماش، وبالتالي فكل ما يقع من تغيرات مناخية يلعب دوراً يمكن الاعتماد عليه في النتيجة التي وقفوا عليها، ويعنون بها الموت الحراري للكون، وهذا لا يشهد لهم، وسوف أتناول ما يلي:

١- أحوال الجو العام

والمقصود به ارتفاع الحرارة لا انخفاضها، ومن يدري أن الحرارة والتمدد الحراري في الدول الواقعة قريبة من خط الاستواء تعلوا فيها درجات الحرارة باستمرار بل ربما كانت هذه المناطق مناخية[2]، طبقاً للمعلومات المستقرة لدى الباحثين في الجغرافيا.

---

(١) الدكتور:عبد العزيز عزام، المقاصد الشرعية في القواعد الفقهية، ص ١٥١.

(٢) المراد بالمناخية أن درجة الحرارة فيها تكون عالية نهاراً والبرودة شديدة جداً ليلاً، وكلما قربنا من خط الاستواء زاد الشعور بهذه المسألة، وقد حكى الأقدمون هذا الواقع وعلى أساسه قسموا قارات العالم القديم إلى ثلاث هي آسيا، وأفريقيا وأروبا. الدكتور: محسن السيد صالح عبد القوي، قارات العالم القديم دولها وأشكالها وتضاريسها، ص ٢١٦،٢١٧، طبعة القاهرة ١٩٧٨م.

وإذا كانت هذه القارات قد حدث لها تقسيم قريب فصارت استراليا والأمريكيتان تمثلان قارات أخرى ثلاثة فإن هذا التقسيم دال على استمرار الوجود لا على انتهائه، ويتأكد فيه وجود الحرارة والبرودة معاً، وقد أثبت الاجتماعيون ذلك كله وأدلوا فيه بشهاداتهم الاجتماعية كما فعل الجغرافيون تماماً بتمام(إنها اللحظة التي يحس العلماء الاجتماعيون بأن لديهم شيئاً مهماً يدلون به على افتراض أنهم راغبون في ذلك، ويجب أن يتخلوا عن مفاهيمهم السابقة)(١).

يقرر "كريس إمبي" أن العصور الجليدية ليست منتظمة على نحو ما تتنبأ به (نظرية "ميلانكوفيتش" وقد كانت الدورة التي تحدث كل ١٠٠ ألف عام هي الأقوى على مدار المليون عام الماضية، في حين تذهب النظرية إلى أنها يجب أن تكون الأضعف لكن بصرف النظر عن الآلية، لم يكن أسلافنا الذين عاشوا على امتداد السنوات القليلة الماضية ليقلقوا بشأن ارتفاع طفيف في درجة حرارة العالم)(٢).

لقد ذهب العلماء المعنيون بالفيزياء مذهباً يؤكد مسألة غاية في الأهمية مؤداها أن الحرارة ترتفع بشكل تدريجي في المناطق الاستوائية، حيث ترتفع إلى مستوى غير محتمل للعديد من الحيوانات، ستتبخر مياه المحيطات شديدة الدفء، وتبدأ في التسرب في الفضاء، وتواصل المحيطات التبخر حتى يصير الكوكب بأكمله صحراء جافة.

حينئذ يتمكن الإشعاع إنعاس المنبعث من الشمس المرتفعة الحرارة أنا ذاك من تحرير ثاني أكسيد الكربون من الرواسب في قاع المحيطات ليزيد أكثر من حرارة الكوكب، وأخيراً يسخن ذلك الغاز لدرجة التبخر في الفضاء، وبهذا

(١) إيمانويل فالرشتاين، نهاية العالم كما نعرفه، ص ٧١، ترجمة الدكتور: فايز الصباغ.
(٢) كريس إمبي، نهاية كل شيء من الإنسان إلى الكون، ص ٢٠٦.

تكون درجة الحرارة أعلى من معدلاتها الطبيعية، لا أن تكون الحرارة في حالة موات[1].

من المؤكد أن ارتفاع الحرارة هكذا يكون على غير ما نطق به هؤلاء، إنهم يعطون كل هذه الكائنات المخلوقة لله حق التعبير عن أنفسها والحديث بذاتها وهم يصغون إليها، أما ما يتعلق بالإله الخالق فلا يلتفتون إليه، رغم أنه الأحق بالتوجه إليه والاعتماد عليه.

٢- الاضطراب المعرفي.

إن الحرارة التي يقع عليها ارتفاع طفيف في الماضي تختلف تماماً في الوقت الحاضر، ويقرر أصحاب الفكر المادي الحديث وقوعهم في حيرة شديدة مردها إلى النظر في كيفية البقاء عندما يفاجئون بأن مشكلة الحرارة آخذةٌ في التلاشي، بل هم يعلنون عجزهم عن تدبير وسيلة تحميهم من فقدان مصدر الحرارة بحيث تلقي بهم في دائرة الخوف من الموت الحراري[2].

وبناءً عليه نراهم يعلنون ما يشبه الفقاقيع حينما يذكرون أن ادعاؤهم ليس أمراً عقلانياً، ويجب الاستعداد للإلحاق بالطائرة الفضائية، بحيث إذا وجدوا من صعوبات على الأرض انتقلوا إلى العوالم الأخرى ومنها عالم القمر.

٣- التفكير خارج الصندوق.

لقد أعلنوا عن إمكانية حل مشكلة الكون عن طريقهم بعيداً عن خالقهم، وذكروا أن هذه المناقضة يمكن حلها بافتراض وجود عمر محدود للكون، وأنهم

---

(١) كريس إمبي، نهاية كل شيء من الإنسان إلى الكون، ص ٢٠٧.

(٢) غريب أمر هؤلاء أنهم يعلنون ارتفاع الحرارة إلى حد إهلاك الكائنات، ويقيمون مأتماً بهذا الفكر يشبعون الناس فيه ضجيجاً ثم ينقلبون إلى الموت الحراري فيكثرون من الضجيج أكثر فأكثر حتى لا يكاد المرء يدري ماذا يردون أهم يتحدثون عن الموت الحراري أم يتحدثون عن البقاء الحراري، وكلا الأمرين موقعٌ في الدهشة.

في هذه الحالة سوف يكونون قادرين على رؤية النجوم التي لديها الوقت لكي يسافر ضوؤها عبر الفضاء[١].

ومعناه أن هذه الحركة الاستغنائية يجب أن تكون لديها ما يعضدها حينئذ يصح القول ويسمع الرأي أما إذا لم يتحقق ذلك فلا سماع للقول ولا قبول للرأي[٢]، وبناءً عليه أنتقل من العرض إلى المناقشة.

(ب) المناقشة

١- إن الظواهر المعاشة تتحدث اليوم عن ثقب الفضاء الفلكي، وأن درجات الحرارة سوف تتزايد سرعتها، ومن المؤكد أن هذا التزايد من الناحية الفلكية يخالف الموت الحراري من الناحية الفيزيائية، وإلا كنا كمن يثبت اجتماع نقيضين في وقت واحد مع أن اجتماع النقيضين محال[٣]، عند أصحاب العقل السليم، لأن اجتماع النقيضين أحد أحكام العقل الثلاثة، وهي الوجوب والإمكان والاستحالة.

---

(١) بول ديفيز، الاقتراب من الله بحث في أصل الكون وكيف بدأ، ص ٦٤.

(٢) ريتشارد دوكنز، الجينة الأنانية، ص ١٩١.

(٣) التناقض هو اختلاف قضيتين في الكيف وهو الإيجاب والسلب، بحيث يقتضي لذاته أن يكون أحدهما صادقة، والأخرى كاذبة. الرسالة الشمسية أحكام القضايا، المبحث الأول الاستدلال المباشر، ص ١٦٩، وقال الأخضري:

تناقلٌ خلف القضيتين في .. كيفٌ وصدقٌ واحد أمر قُفي. الشيخ عبد الرحمن الأخضري، متن السلم، باب التناقض، وعلق الشيخ شمس الدين على هذا بقوله: (وهذا الاختلاف يقتضي لذاته صدق واحدة وكذب الأخرى، إذ لا يعقل صدقهما معاً، كما لا يعقل كذبهما معاً، ومرد ذلك إلى الاختلاف بالإيجاب والسلب. الدكتور: محمد شمس الدين إبراهيم، تيسير القواعد المنطقية شرح للرسالة الشمسية، ج١، ص ١٦٩، الطبعة الثالثة ١٣٨٦هـ، ١٩٦٧م، مطبعة دار التأليف بالقاهرة.

فإذا أضفنا إلى ما سبق أن الشواهد الحياتية والأبحاث الفيزيائية، وما يتعلق بضوابط الأعمال اليومية تشير كلها إلى ارتفاع الحرارة في كثير من فصول السنة عن معدلاتها، فمعنى ذلك أن القول بالموت الحراري فيه خروجٌ على القاعدة العامة، ومن الصواب القول بأن من يقولون به تنقصهم الدقة المعرفية، كما تنقصهم عملية التأمل في الواقع الذي نعيش فيه.

٢- إن كل ما يتعلق بالكون يستوي في ذلك كلٌ من الليل والنهار، الحرارة والبرودة، الظلام والنور، إلى غير ذلك من المتناقضات في عرفنا مع أن مرده إلى علم الله ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[١]، فإذا افترضنا استمرار الحرارة في الارتفاع فسوف يؤدي ذلك إلى هلاك كثير من الكائنات التي لم يخلقها الله قادرة على تحمل هذا الارتفاع الحراري، وإذا افترضنا أن عملية البرودة هي التي تستمر، فمن المؤكد أن خللاً في الكون سوف يحدث، واضطراب في السلوك سوف يتم، مع أن ذلك لم يأذن به الله تعالى، حيث جعل هذا الخلل وذلك الاضطراب بداية القيامة، وجاءت إشارات إلى هذا في آيات قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾[٢].

لقد نبه الإمام الغزالي إلى أن الحكمة من خلق الشمس في الكون الذي نعيشه إنما جاءت لأمور لا يستكمل عملها إلا الله وحده (فالذي ظهر من حكمته فيها أن جعل حركتها لإقامة الليل والنهار في جميع أقاليم الأرض ولولا ذلك لبطل أمر الدين)[٣]، واستدل على ما ذكر بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ

(١) سورة الملك، الآية ١٤.

(٢) سورة الحاقة، الآية ١٤.

(٣) الإمام أبو حامد الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله، ص ٧، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، مراجعة: إبراهيم أمين محمد، طبعة المكتبة التوفيقية بالقاهرة.

عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[1].

وبناءً عليه يكون أمر الحرارة والبرودة على جهة الاعتدال لما يترتب عليه من ظهور الأزمنة الأربعة من السنة وارتباط ذلك بمصالح الخلق، حيث يستقيم أمر النبات والحيوان، وهي في كل أحوالها إنما تسير بتسخير خالقها، ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولما عُرفت المواقيت.

٣- إن مسألة الحرارة والبرودة في الشتاء والصيف، تؤكد هذا الاختلاف فيه تكامل ترتبط به حياة الناس والكائنات بما فيها النبات والحيوان، ولن يكون أمر الموت الحراري قائماً في عقول هؤلاء دون أن يكون موجوداً عند من خلقهم، إن هذا لعجب عجاب، وخروجٌ على ما شرع الملك الوهاب، بل يؤكد الغزالي على أن الأرض خُلقت لحكمه واستوى فيها ما يستوي من ناحية يابسها ومائها[2]، وهي نظرة قائمة على نصوص نقلية، استطاع أبو حامد التأمل فيها والاستدلال بها.

لقد فهم الغزالي أن ما يتعلق بحكمة خلق الأرض وارتباط ذلك بالمصالح للمخلوقين وهو مما يدل عليه النصوص، ولأن الإنسان هو المخاطب بما يجري في الكون كله حتى يعرفه من باب الدلالة المشار إليها بقوله تعالى:﴿سَنُرِيهِمْ

(١) سورة القصص، الآية ٧٢.

(٢) ذهب العلماء إلى أن مساحة الماء أكبر بكثير من مساحة اليابس، فمساحة الماء تشغل نحو ٧١% من جملة مساحة وجه الأرض، بينما يمثل اليابس ٢٩% فقط. جودة حسنين جودة، فتحي محمد أبو عيانة، قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، ص ١٨٥، دار المعارف الجامعية.

ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

غير خاف أن الإمام الغزالي، وهو يعقد حلقة متكاملة من ناحية الحكمة الإلهية فإنما يسعى لنتيجة تطبيقية فيقول من الحكمة في خلقها ووضعها أن جعل مهب الشمال أرفع من الجنوب لينحدر الماء على وجه الأرض فيسقيها ويرويها، ثم يصير إلى البحر في آخر أمره، ولولا ذلك لبقي الماء مستبحراً على وجه الأرض فيمتنع الناس عن أعمالهم، وتنقطع الطرق والمسالك[2]، ولا يبقى شيء يستدل به على حكمة صانعه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومن يتأمل قول الله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾[3]، يجد أن قيام الحرارة والبرودة، والصيف والشتاء، والأرض والسماء، والجبال والأنهار، كلها مسخرة للمخلوق الأعلى في التكليف وهو الإنسان المكرم عند الله تعالى، بقوله جل شأنه:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[4].

---

(١) سورة فصلت، الآية ٥٣.

(٢) الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله، ص ١٠.

(٣) سورة لقمان، الآية ٢٠.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

أخلص مما سلف إلى أن القول بالموت الحراري الذي يترتب عليه انهدام الكون من غير رجوع إلى ما بثه الخالق العظيم في النصوص النقلية والاهتداء بها ليس أمراً مقبولاً عندي على أية ناحية لأن علم الساعة لا يعلمه إلا الله (ﷻ)، وهو من الغيب الذي جعل الله مفاتيحه عنده وحده يدل عليه في قوله تعالى جل شأنه:﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

كما أن الذين يتحدثون عن نهاية الكون من خلال ما يزعمونه من أبحاث في المجالات المختلفة إن هي إلا ظنون يأتيها الباطل من جميع جهاتها ، لأنهم يحاولون إبراز القصور الإلهي "تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً" مع أنه جل شأنه هو الغني المستغني الذي لا يغيب عن علمه شيء فتبارك الله أحسن الخالقين.

(١) سورة لقمان، الآية ٣٤.

علاقة البحث بالرؤية المستقبلية

يعتبر الحديث عن النظريات العلمية من الأهمية بالمكان، بالنسبة لباحث يسعى للتأكيد على أن العلم يؤيد الدين ولا يرفضه، وفي نفس الوقت يتناول النظريات العلمية التي تتحدث عن نهاية الكون طبقاً لرؤية الفلسفة المادية، فإذا كان أمر تلك النهاية نطقت به النظريات العلمية متجهة إلى الفاعل الأصلي وهو الله (ﷻ) فلا مانع من قبولها.

من المؤكد أن هذا الجناح يتمثل فيه الباحثون الذين استناروا بنور الإسلام واستضاءت قلوبهم بتعاليمه، واطمأنوا بذكر الله (ﷻ)، وأعلنوا استقامتهم مع المنهج الذي جاء به الرسول (ﷺ)، ومن ثم فجهودهم لا تخرج عن كونها أحد طرق العلم لتقرير نهاية الكون بقوله تعالى "إفن" على سبيل الإفناء، كما قال "كن" على سبيل الإيجاد.

غير أني في هذه المحاولة أقررُ جملة من المحددات العلمية التي ظهرت لي أثناء البحث، وهي تمد يديها إلى النص القرآني، ناعيةً على منكريه تجاهلهم لحقائقه، والنيل من دلالته على غيبياته، وستدور تلك الرؤية فيما يلي:

١ – الانتقال من لا شيء إلى شيء

ومعناه أن كل ما يجرى في الكون لم يكن سوى شيء في عدم، حيث كان الله ولا شيء معه، ثم أراد الله شيئاً فخلقه، وجعل اللوح المحفوظ سجلاً لكل ما خلق، ثم جعل الله ما في اللوح المحفوظ فيه دلائل بينات من حيث الجانب التطبيقي فما سُجل في اللوح المحفوظ سيخرج إلى حيز الوجود الفعلي(١).

(١) الفرق بين الوجود الكتابي والفعلي، أن الكتابي هو عبارة عن التسجيل في اللوح المحفوظ على سبيل الكتابة والتدوين، يستوي فيه القضاء المبرم والمعلق، وهو المدلول عليه بقوله" وكتب كل شيء في الذكر".

كل ذلك تم في شكل انتقالي مضبوط بالعلم الإلهي، مقصود بالإرادة الإلهية معتمدة بالقدرة الربانية، ذلك تطبيق متعلق بنشأة الكون وانتقال بعض أجزائه من قبضة العدم الأولى إلى قبضة الوجود الأولى، ولما كان ذلك في أمر النشأة فلابد من فاعل للأصل الذي وجد، والأحوال التي تطرأ عليه من العدم إلى الوجود، فإذا استوى أمر الخلق الأول من البداية فمن المؤكد استواء أمر إزالته وهو المعبر عنه بالنهاية وبنفس الضوابط التي ابتدأ تكون النهاية.

ولما كان الانتقال يمثل حركة، والحركة تعبير عن الحرارة، فمن المؤكد أن البداية كانت انتقالات "حركات" مقترنة بحرارة جعلها الله جزءً من المكونات جميعها، والحرارة هي المخلوق الأول القائم في العدم على سبيل الوجود الكتابي لا على سبيل التنفيذ الفعلي.

٢ – الامتداد الحراري

ومعناه أن القدرة الإلهية التي خلقت الحرارة وقُدر لها أن تستمر منتشرة في الكون، وتزيد عليه كفائض حراري، لأن الخالق للمد الحراري زوده بطاقة إنتاجية، تكفي جميع من يحتاج تلك الحرارة ويبقى رصيد هائل مُشار إليه بقوله تعالى:﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[١]، والمراد بالقدر هنا يمكن فهمه على أنه مقدار الحرارة المنبثة في علم الله تعالى، مستفيداً منها كل ما تطرأ الحرارة عليه.

وببقائه بقاء الحرارة فيه، فإذا سُحبت منه عادت إلى طبيعة جسمه الترابي ذي الحرارة المنخفضة إلى حد ما[٢]، غير أن هذا الامتداد الحراري مُعبر عن

(١) سورة القمر، الآية ٤٩.

(٢) الاستمرار الحراري معناه أنه مستمدٌ وجوده وفي استناده إلى الفاعل الحكيم وهو الله (ﷻ).

الوجود وموصل إلى العدم، وهذا التعبير يُمثل نقلا نوعية في المباحث الفيزيائية.

٣- استمرار التمدد والامتداد

ومعناه أن الذي خلق الحرارة أولاً وجعلها تتمدد وتمتد، فإذا كان التمدد اتساع من كل الجنبات، فإن الامتداد انطلاق للأمام أو رجوع إلى الخلف في خط مستقيم، فإذا أردنا مثالاً تطبيقياً للامتداد والتمدد وجدنا عملية دحو الأرض في الجوانب المختلفة، المشار إليها بقوله تعالى:﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾[١].

قال الفخر الرازي معنى الدحو يرجع إلى الإزالة والتمهيد لما فيه من معنى البسط في الجوانب المتعددة، أما التمدد المعبر عنه بالانطلاق جهة الأمام أو الخلف فذلك مرتبط بالأزمنة، واستدل العلماء بما روي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (ﷺ)، قَالَ: كَانَ الْبَيْتُ قَبْلَ الْأَرْضِ بِأَلْفَيْ سَنَةٍ،" فَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ" قَالَ: "مِنْ تَحْتِهِ مَدًّا" [٢]، ومنه دحيت الأرض وجمع الأثر بين التمدد وهو دحو الأرض، والامتداد وهو الاقتران الزماني[٣]، ومن المؤكد فيها حركة، والحركة فيها زمان، وبالتالي فالناتج عن الحركة كل من التمدد والامتداد.

٤- الانكماش الحراري

إذا كانت المراحل السالفة مصاحبة لنشأة الكون، فإن نهاية الكون تجيء في الاتجاه المعاكس لما سبق، وبالتالي فالحرارة التي هي مصدر الحركة وقرنهما الله بالوجود معاً يأخذان في التلاشي حيث ينقطع عنهما كلٌ من الاستمداد

---

(١) سورة النازعات، الآية ٣٠.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، باب تفسير سورة إذا السماء انشقت والسجود فيها، رقم الحديث ٣٩١١، ج٢، ص ٥٦٣، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

(٣) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، الجزء الحادي والثلاثون، ص ٢٠٥.

والاستناد، ومثال ذلك موقد غاز له حيز محدد، كلما تواصلنا معه بالإمداد فإنه يظل عاملاً، وإذا أردنا أن نوقفه عن العمل فإننا نقطع عنه ذلك الإمداد، وبالتالي يظل مستمراً في عطائه ما بقى فيه من الإمداد.

هذه الصورة هي المعبر عنها في اتجاه المتكلمين حيث يذكر الشيخ الباجوري لذلك مثالاً تقريباً بالفتيلة فإنها تستمر منورة مادام فيها الزيت الذي يُمدها فإذا نزع منها الزيت انطفأت بنفسها، ولا تحتاج إلى من يطفئها(١).

ولا يخفى أن هذا مرتبطٌ بالتنجيزي الخاص بالإيجاد والإعدام وليس ذلك مما تتعلق به القبضة لأنها لا توصف بالتنجيزي ولا بالصلوحي، وقد نبه الشيخ الفضالي على أن متعلق القبضة بالوجود والعدم إنما هو الذي عليه الجمهور(٢).

وبناءً عليه فإذا أراد الله موت الحرارة منع عنها الإمدادات التي جعلها في الأول سبباً في بقائها، مع ملاحظة أن الإمدادات في جملتها أعراض ممكنة، وليست ذواتاً واجبة فإذا منع الله تعالى عنها الأمور الإمدادية وقع العدم عليها، ولا يبقى إلا الله (ﷻ).

فإذا أردنا استشراف المستقبل فيما يتعلق بالموت الحراري تبادر إلينا أنه ما دام الله (ﷻ) أراد إنهاء حياة الكون الذي نعيش فيه منع عنه الإمداد بحيث يشمل الهواء في الكائنات التي حياتها عليه، والغذاء الذي عليه بقاء الكائنات، والماء الذي عليه حياة من يحيا بالماء، ويكون ذلك كله مما يعظم الخالق جل علاه، ويُذكر بصفاته العظمى، وأسمائه الحسنى، وعمل كل منهما، حتى يستشعر كل فرد أنه في حالة الاستمداد للحرارة يبقى، وفي وقف ذلك الإمداد ينتهي، فيخر لله ساجداً، ويعود إليه شاكراً، ويحزم أمره ألا يقع في مخالف له.

---

(١) الشيخ إبراهيم الباجوري، حاشية تحقيق المقام، ص ٤٨، طبعة الحلبي ١٩٤٦م.

(٢) الشيخ محمد نووي الشافعي الفضالي، كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام، ص ٤٧، طبعة الحلبي ١٩٤٨م.

وإذا تأكد لنا ما ذكر وأن مصدره الحقيقي هو الله صار كلٌ من يحاول تجلية جواسه، واستنطاقها لتظل قائمة بأمر ربها، فيتحول الإنسان إلى مراقب سلوك نفسه، وحينئذ يقوى دور الضمير الذاتي، ويتعالى على الرغبات والنزعات، ويقفز بصاحبه من السقوط في الوهدات، والترقي في سُلم الرضوان معتصماً بالكتاب والسنة آخذاً بهما عمرهُ كله.

فإذا أردنا أن يكون استشراف المستقبل على القاعدة الأسمى، كان لنا الانتقال إلى اسم الله الودود لندرك تجلياته، فإذا علمنا (أن الودود هو الذي يحب الخير لجميع الخلق، فيحسن إليهم ويثني عليهم)[1]، تبين أن ذلك هو الله (ﷻ) الذي يمد الخلق بمودته ويرحمهم برحمته.

في ذات الوقت فإن عملية الإمداد على النحو الذي سلف تُبين أن الكون قد خُلق وفيه رغبة الاستمداد فيكون هذا القبول للاستمداد قد جعله الله فيه ليظل دليلاً قائماً على وجود الله تعالى الذي وسع كل شيء علماً وأحاطه بحيث لا يخفى عليه شيءٌ فمن لم يعرف الله لا يستحق أن يكون حكيماً، ومن لا يعرف الله يخافه فينال رأس الحكمة التي يطلبها[2].

وإذا كانت الحكمة هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، فإن أجل الأشياء هو الله سبحانه ولا يعرف كنة معرفة غيره فهو الحكيم الحق، وهو الله (ﷻ)[3].

---

(١) الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ص ١١٤، تحقيق وتخريج الشيخ: محمد مصطفى أبو العلا طبعة مكتبة الجندي بالقاهرة.

(٢) إذا نمت تلك العقيدة في عقول الناس وبرزت تجليات أسماء الله الحسنى في العقول والوجدانات تهيئ البشر إلى ملاقات الله جل شأنه على ضفاف رحمته وعدله وحكمته.

(٣) الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ص ١١٢.

ولا ريب أن جوانب استشراف المستقبل متنوعة، واستلهامات التجلي الإلهي القائمة، وعلمية الاستمداد مستمرة، ومن يجحد هذه وتلك فقد غاب عنه صحو ضميره، وانتهى من وجوده وجودُه وصار الشيطان وحده قرينه، وأما من نما في وجدانه الضمير النوراني وعلا في عقله التريض الرحماني، فمن المؤكد أن تظل عملية التجلي له آخذةً بزمامه حتى تبلغ معه غايته والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الخاتمة

تعتبر الخاتمة في أي بحث علمي بمثابة المتن والشارح معاً، أما لماذا؟ فلأنها تقوم بضبط النتائج التي أمكن الوصول إليها، فيكون المطالع لها متمكناً مما ورد في البحث على ناحية استيفائية.

ثم تأتي عملية التوصيات لتزيح من طريق البحث كل عائق يعيده إلى نقطة البداية، فإذا زالت انطلق البحث للأمام، واستطاع أن يمر بسلام، فإذا انتهى من هذا يكون قد كسر الحاجز النفسي الذي منعه من الوصول إلى غاياته المبكرة، وأخيراً تأتي المقترحات معبرةً عن وجود فعلي لموضوعات لم تُستكمل في عقل الباحث المعرفي تُريد استكمالها، وبالتالي يقدم خدمة علمية لطلاب البحث العلمي، وطبقاً لهذه الجوانب الثلاثة، فإني أقدم ما يلي:

أولا: أهم النتائج

١- إن الفلسفة المادية الحديثة لم تقدم جديداً في مجال ينتظر منها أن تكون سباقة فيه، وهو مجال الاستدلال على الخالق العظيم جل علاه، فإذا لم تقدم أعلنت فشلها، وأضاعت بيدها هيبتها.

٢- إن الفلسفة المادية حينما سقطت هيبتها لم يعد يقبل عليها أحد سوى من يتحدثون باسمها من غير أن يقع لهم تعارض بشأنها، لأنهم إنما يعملون على الشاطئ دون الدخول إلى الأعماق، وهم في ذات الوقت مقبلون على الإلحاد، فلا هي أنابتهم في الحديث عنها، ولا هم كانوا كفاءً لمؤازرتها، وبناءً عليه فكل النظريات التي اعتمدوا عليها بحاجة إلى ضخ دماء جديدة تؤخذ في الحسبان عند الحديث عن الفلسفة المادية، لكن ذلك لم يتم، فصار من المأمول القول بفشل الفلسفة المادية الحديثة عن تقديم جديد، بدل العيش في جنبات استهلاك معرفي تركه لهم آخرون لم ينالوا شرف البحث العلمي الدقيق.

٣- إن الدارسين للفلسفة المادية من أصحابها يخلطون بين قضايا الفلك، والأحياء، والفيزياء، وهذا من شأنه تعسر المفاوضات العلمية بالنسبة لمن يقرأ عن تلك النظريات، ويسعى للدفاع عنها، ومهما اعتنقها سيفشل في الغاية التي وضعها أمام عينه.

٤- إن الكثير من النظريات التي ينسبونها للعلم أخفقت في التعريف بنفسها، وليس أدل على ذلك من فكرة الانفجار العظيم، ثم جاءت فكرة الأكوان المتعددة، ثم ظهرت مليشيا الإلحاد، وهذا في حد ذاته كاف لإثبات حاجة الفلسفة المادية إلى قراءة جديدة تقوم على قواعد صحيحة تعيدها إلى وضع ينتظر منها، وتزيح عنها ما وضعها فيه أصحابها.

٥- إن الموضوعات التي تناولتها الفلسفة المادية تفتقد عنصر الجدة، وتتبنى موضوعات حكيت سلفاً ومات يومها، وبالتالي فمن يعيش عليها يظلم نفسه وواقعه، ويثبت فشله، ولو كان يدرك حجم الوقت وقيمته لبادر إلى النصوص الإلهية، فسيسترشد بها، ويصل إلى نتيجة صحيحة إن كان مخلصاً لها.

ثانيا: أهم التوصيات

١- ضرورة التعامل مع الفلسفة المادية بكل صورها وأبعادها، وهو ما يسمى بالاستيعاب، ومتى أمكن نقد تلك المدارس فقد بان أنها لا تقوم على أصول صحيحة بقدر ما تمثل نوعاً من الفوضى الخلاقة على أحسن تقدير.

٢- إن الفلسفة المادية يجب ألا تأخذ من أصحاب الفكر الإسلامي مأخذاً يُنغص عليهم واقعهم، وإنما لابد من التعامل مع أفكارهم على أنها تراث إن صح صح مع النقد، وإن خاب خاب معه كل من النقد والتحليل.

٣- ضرورة الاهتمام بالعنصر الباحث في الفلسفة مع بيان أن تحرره من سلطة القديم الفاسد يعينه على رصد أفكاره والتكامل معها، بغرض الوصول إلى نتائج صحيحة إذا تيسر له ذلك.

ثالثا: المقترحات

١- نظرية الأوتار الفائقة وخطرها على العقيدة الإلهية دراسة تحليلية.

٢- نهاية العالم بين الدين والفلسفة دراسة نقدية.

٣- فرضية وجود الإله بين المثبتين والمنكرين دراسة تنظيرية.

٤- استدراكات ابن رشد على الغزالي وأثرها في البناء المعرفي.

٥- صورة حي بن يقظان ودورها في البناء الفلسفي.

٦- فكرة الزمان المقدر بين القبول والرفض.

٧- ظاهرة المط السطحي في الفلسفة المادية وموقفنا منها "عرض ومناقشة".

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم وعلومه:

(١) القرآن الكريم

- ابن عاشور– الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت: ١٣٩٣هـ).

(٢) تفسير التحرير والتنوير، طبعة الحلبي ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

- الرازي– الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (ت:٦٠٦هـ).

(٣) مفاتيح الغيب، المجلد الثالث عشر، ط دار الغد العربي بالقاهرة، ط١، ١٩٩٣م، ١٤١٣هـ.

- الريسوني– الدكتور قطب.

(٤) النص القرآني من تهافت القراءة إلى افق التدبر، المملكة المغربية الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

- زهران– العلامة الشيخ محمد نور الدين بن محمد

(٥) نظرات في آيات القرآن الكريم سورة الأعراف، طبعة دار سعادة ١٣١٥هـ.

- النقلي– الشيخ صالح بن حسن

(٦) القرآن تفسير وبيان، طبعة دار سعادة ١٣١٣هـ.

ثانيا: السنة النبوية المطهرة وعلومها:

- مسلم– الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت:٢٦١هـ).

(٧) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

- النسائي– الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على (ت: ٣٠٢هـ).

(٨) السنن الكبرى، تحقيق/ حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

ثالثا: المعاجم العربية والتراجم:

- الجرجاني- السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد زين أبي الحسن (ت: ٨١٣هـ).

(٩) التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(١٠) معجم اللغة العربية، حرف الجيم، طبعة مجمع اللغة العربية ١٤٢٧هـ،٢٠٠٦م.

رابعا: الرسائل الجامعية، والمجلات:

- ايمان أحمد

(١١) النيوترينو وما وراء الذرات، طبعة ٢٠١٥م.

- الأستاذة: حنان محمد

(١٢) القوانين الأساسية للديناميكا الحرارية وتطبيقها في الغلاف الجوي، الأرصاد الجوية، العدد ٦٤.

- الدكتورة: هيفاء محمد عيد الزبيدي

(١٣) الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعي، كلية التربية بغداد، قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية ١٩٩٨م، بحث منشور.

(١٤) مجلة الباحثون المصريون، هل سنجد المادة المظلمة تحت أقدامنا، ترجمة: يارا محمد، تم نشأتها ٢٠١٤م.

خامسا: المصادر العامة:

- الباجوري- الشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي

(١٥) حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد، طبعة الحلبي ١٩٤٦م.

- بروليه- لويس دي

(١٦) الفزياء والمكروفيزياء، ترجمة الدكتور: رمسيس شحاته، سلسلة الألف كتاب، العدد ٦٣٤، الإدارة العامة للثقافة ١٩٦٧م.

- بوتاني- ديفيد

(١٧) الإلحاد قاعدة معرفية، ، ترجمة: نهال زكري، طبعة دار القلم ٢٠١٠م.

- بارتي– وليم

(١٨) الطاقة والمادة في البناء الفيزيائي، ترجمة عادل فوزي، طبعة بيروت ١٩٩٩م.

- التفتازاني– الإمام مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين

(١٩) شرح المقاصد، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

- الجونغوري– الشيخ عبد الرشيد الهندي

(٢٠) شرح الرشيدية على الرسالة الشريفية في آداب البحث والمناظرة، طبعة الحلبي، ١٣٦٠هـ، ١٩٤١م، الطبعة الأخيرة.

- جودة حسنين جودة، فتحي محمد أبو عيانة

(٢١) قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، دار المعارف الجامعية.

- جنيز– جيمس

(٢٢) الفيزياء والفلسفة، ترجمة: جعفر رجب، طبعة دار المعارف ١٩٨١م.

- الحامدي– الشيخ: إسماعيل بن موسى بن عثمان بن محمد

(٢٣) شرح الحامدي على العقيدة الصغرى للدرديري، طبعة الحلبي ١٩٤٥م.

- الخُشن– الاستاذ: حسين

(٢٤) عالم دون أنبياء! دراسة نقدية في الفكر الربوي، الطبعة الأولى ٢٠١٧م، ١٤٣٨هـ.

- الخضر– الدكتور: أسامة علي أحمد

(٢٥) سقوط الإلحاد على ضوء العلوم الحديثة: دراسة موجزة عن العلوم الحديثة التي هدمت معاقل الفكر المادي الإلحادي، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

- الدردير– العلامة: أبو البركات أحمد بن محمد

(٢٦) شرح الخريدة البهية وعليها حاشية على الشرح للعلامة محمد بن أبي السعود السباعي، حققه وراجعه: السيد على الهاشم، طبعة الأولى، الشركة الدولية للطباعة والنشر ١٤٢٣هـ.

- دوكنز- ريتشارد

(٢٧) صانع الساعات الأعمى، ترجمة الدكتور: مصطفى ابراهيم فهمي، بدون تاريخ.

(٢٨) الجينة الأنانية، ترجمة علي مولا، طبعة دار الساقي، ترجمة: تانيا ناجيا، مركز البابطين للطباعة والنشر بالكويت الصالحية الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

- ديفيس- بول

(٢٩) العوالم الأخرى صورة الكون والوجود والعقل والمادة والزمن في الفيزياء الحديثة، ترجمة الدكتور: حاتم النجدي، مكتبة طلاس، الطبعة الثانية ١٩٩٤م

(٣٠) الاقتراب من الله بحث في أصل الكون وكيف بدأ، ترجمة: منير شريف، مراجعة: عبد الرحمن الشيخ، الهيئة العامة لشئون المطابع، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

(٣١) الأوتار الفائقة نظرية كل شيء، ترجمة الدكتور: أدهم السمان، طبعة دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

(٣٢) الله والفيزياء الحديثة، ترجمة: هالة العَورى، مكتبة مؤمن قريش، سوريا ٢٠١٣م.

- الدسوقي- الشيخ محمد بن أحمد بن عرفة

(٣٣) حاشية الدسوقي على "أم البراهين"، دار إحياء الكتب العربية، طبعة الحلبي ١٩٣٨م.

- الرازي- الإمام فخر الدين (ت:٦٠٦هـ).

(٣٤) معالم أصول الدين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية، بدون تاريخ.

- زانجويل- أ.ل

(٣٥) مدخل إلى علم النفس الحديث، سلسلة الألف كتاب، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، المطبعة النموذجية ١٩٥٧م.

- زوسر– وليم

(٣٦) الكون بداية ونهاية، ترجمة الدكتور: عدلي فكري رزق، طبعة بيروت ١٩٩٨م.

- الزبيدي– الدكتورة: هيفاء محمد عيد

(٣٧) الاستمطار الصناعي للسحب وفق المنظور الشرعية، كلية التربية بغداد، قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية طبعة ١٩٩٨م

- ستينجر– فيكتور جون

(٣٨) الله الفرضية الفاشلة كيف يثبت العلم عدم وجود الله، ترجمة الدكتور: كمال طاهر.

- ساغان – كارل

(٣٩) الكون، ترجمة: نافع أيوب لبس، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، صدرت السلسلة ١٩٧٨م.

- السكران– الدكتور: إبراهيم بن عمر

(٤٠) التأويل الحداثي للتراث، التقنيات والاستمدادات، طبعة دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، فهرسة مكتبة الملك فهد للتراث.

- سبيف– ق. أفانا

(٤١) أسس الفلسفة الماركسية "المادية الدياليكتيكية"، ترجمة: عبد الرزاق الرصافي، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م، دار الفارابي بيروت.

- السيد– الأستاذ أحمد بن يوسف

(٤٢) أصول الخطأ في الشبهات المثارة ضد الإسلام وثوابته، مركز دلائل، بدون تاريخ.

- الشافعي– الشيخ: محمد نووي

(٤٣) نور الظلام شرح منظومة عقيدة العوام، طبعة الثانية ١٩٣٦م.

- السقار– الدكتور: منقذ بن محمود

(٤٤) تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، رابطة العالم الإسلامي، بدون تاريخ،

- الطباطبائي– العلامة السيد محمد حسين

(٤٥) بداية الحكمة، ترجمة: علي شيرواني، مؤسسة المعارف الإسلامية ١٤١٨هـ.

- الصاوي– الشيخ: أحمد بن محمد المالكي

(٤٦) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، تحقيق الدكتور: عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير دمشق، بيروت ١٩٩٩م.

- ضاحي– الدكتور: ذكرى صبار، م. مي جاسم عاشور

(٤٧) جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الصرفة، محاضرات قسم الفيزياء، طبعة ٢٠١٩/٢٠٢٠م.

- طالب– هشام

(٤٨) بناء الكون ومصير الإنسان نقض لنظرية الانفجار الكبير " حقائق مذهلة في العلوم الكونية والدينية"، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

- العجيري– الدكتور: عبدالله بن صالح

(٤٩) مليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد، مركز تكوين، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م، المملكة العربية السعودية.

- العقاد– الأستاذ عباس محمود

(٥٠) أفيون الشعوب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٢م.

- العدل– الدكتور: على محمد

(٥١) الاتجاهات الحديثة في الفلسفة وكيفية التعامل معها، طبعة بيروت الرابعة ٢٠١٧م.

- عزام– الدكتور: عبد العزيز محمد

(٥٢) المقاصد الشرعية في القواعد الفقهية، طبعة دار البيان للطباعة والنشر ٢٠٠١م.

- عبد القوي– الدكتور: محسن السيد صالح

(٥٣) قارات العالم القديم دولها وأشكالها وتضاريسها، طبعة القاهرة ١٩٧٨م.

- الغزالي– الإمام أبو حامد محمد بن محمد (ت:٥٠٥هـ).

(٥٤) الحكمة في مخلوقات الله، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، مراجعة: إبراهيم أمين محمد، طبعة المكتبة التوفيقية بالقاهرة.

- الغمراوي– الدكتور: محمد أحمد

(٥٥) الإسلام في عصر العلم، مطبعة السعادة الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

- فالرشتاين– إيمانويل

(٥٦) نهاية العالم كما نعرفه، ترجمة الدكتور: فايز الصباغ، هيئة البحرين للثقافة والآثار، مكتبة ٤٠٩، الطبعة الأولى ٢٠١٧م.

- فيوشر– جورج

(٥٧) الفيزياء ونهاية الكون دراسة تأصيلية، ترجمة الدكتورة: راجية حسن طه، طبعة بيروت ٢٠١٥م.

- قاسم– الدكتور محمود

(٥٨) المنطق الحديث ومناهج البحث، الطبعة الخامسة ١٩٦٨م.

- كلوز– فرانك

(٥٩) النهاية، الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون، ترجمة الدكتور: مصطفى إبراهيم فهمي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٩١، ١٩٩٤م.

- كيللي– ف، كوفالزون– م

(٦٠) المادية التاريخية، طبعة بيروت ١٩٩٣م، ترجمة: هادي عبدالله.

- ليوتاكسل

(٦١) التورات كتاب مقدس أم جمع من أساطير، ترجمة: حسان ميخائيل، طبعة الأسد، دمشق ١٩٩٩م.

- ليبنتز- جوتفريد فيلهلم.

(٦٢) المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، ترجمة الدكتور: عبد الغفار مكاوي، طبعة دار الثقافة بالقاهرة ١٩٧٨م.

- مقار- الدكتور: إدوارد

(٦٣) الفيزياء ونهاية الكون، ترجمة الدكتورة: نادية حسن، طبعة دمشق ١٩٩٥م.

- مليكا- الدكتور: لويس كامل

(٦٤) علم النفس الإكلينيكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٩٨٥م.

- هانوفيل- جورج

(٦٥) نظريات الكون الفلكية والفيزيائية دراسة إنشائية، طبعة بيروت ٢٠١٥م.

- هيراك- العالم جون

(٦٦) مذهبنا الفيزيائي واعتقاداتنا الكامنة، ترجمة الدكتورة: وصفية بنت محمد سلطان الدين، طبعة الهند ٢٠٠٥م.

- هوكنغ- ستيفن

(٦٧) الدقائق الثلاثة الأولى من عمر الكون، ترجمة: محمد وائل الأساسي، الدار المتحدة للطباعة والنشر دمشق ١٩٨٦م.

- واي تون

(٦٨) الفوضى الخلاقة ووسائل الاقتراب منها والدفاع عنها والارتداد إليها، تحقيق: عادل لطفي، مكتبة القلم بالكويت، ٢٠١٠م،٢٠١١م،.

- وياخوت- ، سيركن.

(٦٩) أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، ترجمة الأستاذ: محمد الجندي طبعة ١٩٦٧م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
(١)	**الملخص باللغة العربية**	٢٧٥
(٢)	**الملخص باللغة الإنجليزية**	٢٧٧
(٣)	* **مقدمة**	٢٧٩
(٤)	* **تمهيد**	٢٨٥
(٥)	* تعريف الموت الحراري	٢٩٢
(٦)	* **الفصل الأول: أسباب الموت الحراري "عرض، ومناقشة"**	٢٩٧
	* **السبب الأول:** تلاشي المصدر الحراري (أ) العرض	٢٩٧
(٧)	* (ب) المناقشة	٣٠٢
(٨)	* **السبب الثاني:** اضطراب عنصر الوقود الحراري (أ) العرض	٣١٠
(٩)	* (ب) المناقشة	٣١٣
	* **السبب الثالث:** استهلاك المخزون للطاقة الكونية (أ) العرض	٣٢٠
(١٠)	* (ب) المناقشة	٣٢٥
(١١)	* **السبب الرابع:** سقوط إله الإلحاد (أ) العرض	٣٣٢
	* (ب) المناقشة	٣٣٦
(١٢)	* **الفصل الثاني: مظاهر الموت الحراري " عرض،**	٣٤٢
(١٣)	**ومناقشة"**	
(١٤)	* **المظهر الأول:** فقدان وسائل البقاء (أ) العرض	٣٤٢
(١٥)	* (ب) المناقشة	٣٤٥

(١٦)	* **المظهر الثاني:** اتساع الحكايات الإنسانية (أ) العرض	٣٤٨
(١٧)	* (ب) المناقشة	٣٥٠
(١٨)	* **المظهر الثالث:** استقراء الواقع الحيوي (أ) العرض	٣٥٤
(١٩)	* (ب) المناقشة	٣٥٧
(٢٠)	* علاقة البحث بالرؤية المستقبلية	٣٦٢
(٢١)	* **الخاتمة**	٣٦٨
(٢٢)	* **أهم المصادر والمراجع**	٣٧١
(٢٣)	* **فهرس الموضوعات**	٣٧٩

تم بحمد الله